مسرح

صلاح عبد الصبور

المجلد الثاني

الأميرة تنتظر

« نحن لا نكشف الكوخ إذا اضيء النور لأول مرة ، ولكننا نكتشفه . وسكانه لا يعنيهم أمرنا ، لأن مشكلاتهم قد لا تعنينا . انهن يعشن في انتظار رجل ، يعلمن أنـــه سيجيء يوماً ما ، ولذلك فان النور الذي يمتـد من واجهـة المسرح الى عمقـه ، يضيء لنا بابا يتأرجح على لولبه ، ليس مفتوحاً أو مغلقاً ، وهو يصر صريراً متمزقاً كأن ريحـــاً غير منسجمة الهبوب تعلن عن وجودها خارج الكوخ بالدق على خشب البـاب . وحين يعود النور من عمق المسرح يتجه الى اليمين لنرى درجـاً صاعداً الى غرفة الأميرة ، يوازيه الى اليسار درج هابط الى حاصل الكوخ ، حيث تحتفظ الساكنات بزادهن اليومي الفقير . أما وسط الكـوخ ، فتحتله مائدة

مستطيلة قديمة الطراز . قديمة فحسب ، إذ ليس لها طراز معين . وحولها أربعة مقاعد ظهر أحدها أعلى قليلا . والمقاعد لا تتآلف حول المائدة ، ولكنها تتخالف بلا ايقاع . يروغ بين المقاعد ظهرا أمرأتين ، تلبسان السواد ، وتنظفان رثاثة الأثاث ، وتتشاكيان .

***

الوصيفة الأولى :

يستعجلنا الموت

لكننا نتشبث بحبال العيش المبتوته

الوصيفة الثانية :

ليس لنا أن نختار

كلمات في جملة

الوصيفة الأولى :

ما قيل فقد قيل

نطقتنا الأيام ، وألقتنا في وجه الريح

الوصيفة الثانية :

فلنحرص ألا نتوحد

حتى لا يذرونا الغد

وتعلقنا بين جدائلها أشجار السرو

الوصيفة الأولى :

خمسة عشر خريفا مذ حملتنا في العربة

من بين حقائب ماضيها

الوصيفة الثانية :

خمسة عشر خريفا مذ فارقنا قصر الورد

ونزلنا هذا الوادي المجدب

إلا من أشجار السرو الممتد

كتصاوير الرعب

الوصيفة الأولى :

هل حملتنا قسرا ؟

كنا نحلم بالحب كما يحلم كهف بالنور
ولذلك أحببنا أن نصحبها

الوصيفة الثانية :

خدعتنا الأحلام

الوصيفة الأولى :

هي أيضاً قد خدعت
ما الوقت الآن

« تتجه الوصيفة الثانية الى الحائط ، لتكشف لنا عن كوة صغيرة ، تفتحهـــا لنرى تكاثف الظلام في الوادي »

الوصيفة الثانية :

خمسة عشر ظلاماً

الوصيفة الأولى :

هذا ميعاد مواجدنا الليليه

الجرح يريد السكين

الوصيفة الثانية :

نفس الترتيب ؟

الوصيفة الأولى :

نفس الترتيب

حين تصير الظلمة خمسة عشر ظلاماً

نتبادل هذي الكلمات .

الوصيفة الثانية :

أعرف دوري . .

« تبتعد الى أقصي يمين المسرح ، بينما تتجه الوصيفة الاولى الى أقصى يساره ، ثم تتوقف برهة لتستعد

كما يستعد الممثل لالقاء دوره ، وتنطلق في صوت مرح » يا مفطوره

حتى العصفور
لا تملأ بهجة قلبه
رقة حوصلته
وأميرتنا ،
ولتسعد بالأيام الحلوة حتى تشرق
شمس الأيام الحلوة في عينيها
وتزيد جمالاً
إن كان تمام الحسن يزيد

تبغي أن تمزج جوهرهـــا النوراني ببعض اللذات الأرضيه

الوصيفة الاولى :

كاس نبيذ مثلاً

الوصيفة الثانية :

وأفيضيه حتى نغمس فيه لقمه

الوصيفة الاولى :

وشواء ؟

الوصيفة الثانية :

قدرا يشبع جوعة عصفور

الوصيفة الاولى :

أعددت لها بعض حكايات حلوه

الوصيفة الثانية :

المرأة والملاح العربيد

لا يقرب زوجته إلا أن رقرقها بالماء ؟

الوصيفة الاولى :

لا .. لا ..

الوصيفة الثانية :

الديك المسحور

يتحول عند الفجر أميراً مؤتلق التاج ،

ويهبط كل مساء ليصوصو في حضن الفلاحة

والفلاح يغط بنومه ؟

الوصيفة الاولى :

لا .. لا ..

لن أكشف عن تحفي إلا بين يديها

ما الوقتِ الآن ؟

الوصيفة الثانية :

« تتجه الوصيفة الثانية الى المفتحة لتنظر ثم تعود »

سبعة عشر ظلاماً

ما أسرع ما تتكاثف هذي الظلمات

تتدحرج فوق الوادي كالثوب الشفاف

توشك لا تلحظها العين

مـا تلبث أن تتهاوى ، تتكوم بعد قليل ، تتصالب

كالأحجار

آه .. ما أثقلها في قلبي الليلة

الوصيفة الاولى :

ما هـذا .. أخرجت عن الدور ؟ ..

الوصيفة الثانية :

لم أخرج بعد ، وما في وسعي أن أخرج ما دمنا نحيـا

في هذا الكوخ

الوصيفة الاولى :

انا ننتظره

الوصيفة الثانية :

واثقة أن سيجيء ؟

الوصيفة الاولى :

هذا ما نحيا له

الوصيفة الثانية :

وإذا لم يأت .. ؟

الوصيفة الاولى :

لم يأت .. ؟

لا .. لا .. لا بد وأن يأتي

تظهر الوصيفة الثالثة من أعلى الدرج الايمن ، وتتخذ هيئة الغاضبة ، وكأن أحداً ناداها فشغلها عما كانت فيه ، تقف وقفة الاستعداد التمثيلية »

الوصيفة الثالثة :

ها أنذا قادمة توا

ما بالكما ، لا يهدأ صوتكما أبداً

امرأتان كسولان

تدعان لي العمل الشاق ، وتنطلقان الى الثرثرة

كما تنطلق المهرة للبغل

هل حان الوقت ؟

الوصيفة الاولى :

فلتنتظري حتى نضع المائدة كما تهوى ، ونعد الأقداح

تهبط الوصيفتان الاولى والثانية الى الحاصـل ، بينما تهبط الوصيفة الثالثـة من أعلى الدرج ، وتتلفت حولها لتطمئن الى أنها وحيدة لا يسمعها أحـد ..

الوصيفة الثالثة :

تهوى الأيام كأوراق الأشجار ،وتنبت أوراق أخرى

وعلينا أن نقفز مثل الديدان

من يوم ميت

في يوم مولود

« تتجه نحو الباب وتفتحه قليلا في حذر »

الظلمة هذي الليلة أحلك مما اعتادت عيني في هـــذا الوادي

لا تبدو صامتة جوفاء ككل مساء

في داخلها سر يمشي ، يوشك أن يتكلم ويصيح

لا .. لا .. ليست خشخشة الورق الذابل في الريح

بل خطوات السر

« تصعد الوصيفتان ، تحملان بضعـــة أطباق وأقداح فارغة ، تنشغلان بصفها على المائدة ، ثم يتبادل الثلاثة النظرات ، ويقفن صفا كأنهن في صلاة

وثنية ، وتتجه عيونهن الى أعلى الدرج ، حيث تبرز الاميرة في أروع زينتها .

الوصيفة الثالثة :

مولاتي
من أعلى السلم يلمع نورك
شمس في السمت
ويفيض عبيرك
فتبل ندواته جدران البيت

الوصيفة الاولى :

مولاتي

من أعلى السلم يتضوأ نحرك
حقل ليالك مرشوش بالنور
ويزغرد شعرك
خمر تنسكب على صفحة بلور

الوصيفة الثانية :

مولاتي
من أعلى السلم يختال قوامك
موسيقى تلتف وتتمهل
نغم تفرطه أقدامك
ويعود ليتشكل

الاميرة :

شكراً ، فلاهبط درجة

الوصيفة الثالثة :

مولاتي

في وسط السلم تحتار العين

ثوبك أم صفحة فضه

تتمرغ فيها شمس الصيف

الوصيفة الاولى :

مولاتي

في وسط السلم تحتار العين

جيدك أم كومة ماس

يتكسر فيها النور ويلتم

الوصيفة الثانية :

مولاتي

في وسط السلم تحتار العين

خُفاك هما أم جنحا طائر

خير بين الألوان فأبدع

الاميرة :

شكراً ، فلأهبط درجة

معذرة إني أنسى دوماً أسماء وصيفاتي

هل تعملن بقصر أبي ؟

الوصيفة الثالثة :

كم وطأتنا قدماه الطيبتان

الاميرة :

ماذا تعملن

الوصيفة الاولى :

أنا خادمتك مفطوره

أحمل مروحتك

الوصيفة الثانية :

وأنا خادمتك بره

أعقد ملفحتك

الوصيفة الثالثة :

وأنا خادمتك أم الخير

أحياناً يؤثرني فضلك

فتنامين بحجري

حتى يلمس ملك الأحلام العذبة

بأصابعه الوردية صفى أهدابك

الاميرة :

ماذا تبغين الآن ؟

الوصيفة الثالثة :

ننتظرك حتى يعطفك علينا فيض كمالك

أعددنا مائدة متواضعة ، وتمنينا لو أكرمت وصيفاتك بالصحبة

الاميرة :

لا باس ، لا باس

« يسمع صوت من الخارج ، كان خطى تتردد . تنزعج الاميرة ، ملقية بسمعها الى الصدى »

ما هذا يا أم الخير

الوصيفة الثالثة :

مولاتي ..

تلك هي الريح

الاميرة :

أتراه ياتي الليلة ؟

الوصيفة الثانية :

لا أدري يا مولاتي

أتسمع في هذي الليلة سراً مدفوناً في أحجار الصمت

يوشك أن يبعث شبحاً تتشقق عنه الظلمة

الاميرة :

أشعر هذي الليلة مثل شعورك

لا أدري ماذا أفعل ان جاء

اني أسألكن سؤالاً

لكن لا تكسرن فؤادي بجواب مسنون كالسيف
أو بجواب رواغ كالماء
قد كنتن معي في تلك الليلة
وعرفتن الحادث

الوصيفة الثالثة :

الحادث ، ما الحادث ؟

الاميرة :

الحـــادث ؟
لا تذكرن الحادث

الوصيفة الثالثة :

ما يحيا كل دقيقه

لا ينسى أو يذكر

الاميرة :

أبدو مخطئة في أعينكن
لكنْ .. لكنْ
قد لوح لي بالحب

الوصيفة الثانية :

نعلم . نعلم

الاميرة :

بل أقسم أن ينبت في بطني أطفالاً
طفلاً في كل خريف

الوصيفة الاولى :

نعـــلم .. نعـــلم

الاميرة :

هل أخطأت إذن

« يقترب صوت الخطى ، كأنها تحزم وتتردد ، تتسمع الاميرة »

رباه ، مـــاذا تحمل هذي الليلة

الوصيفة الثالثة :

لا تحمل هذي الليلة إلا مـــا حملت ليلات أخرى

فارجعن الى الدور

« في هيئة تمثيلية »

هل تاذن مولاتي أن نشرب كاس نبيذ قبل الأكل

الاميرة :

« مسترجعة هيئتها الملكية »

لا ، بل كاساً من ضحك تجلو طيف القلق عن القلب

يا مفطوره .

قولي واحدة من نكتك

الوصيفة الاولى :

فاسمعن إذاً أحدث نكته

رجل قال لزوجته

البدر يفوقك حسناً

قالت زوجتـــــه :

اذهب حل سراويل البدر

بدلاً من حل سراويلي

« يضحكن »

الوصيفة الثانية :

لا باس بها ، لكني أعرف أخرى مضحكة جداً

رجل قال لصاحبه

امرأتي أشهى من كل نساء البلده

فأجاب الصاحب ·

هـــذا حق !

امرأتك أشهى من كل نساء البلده

« يضحكن »

الوصيفة الثالثة :

ايه .. ما أبدع هذي النكته

الوصيفة الاولى :

الضحك لذيذ

الوصيفة الثالثة :

خبز القلب

الوصيفة الاولى :

خمر مجانيه

الوصيفة الثانية :

آه لو نملك أن نضحك حتى الموت

لو متنا في شهقة ضحك

الوصيفة الأولى :

دوماً تحيين على ذكر الموت

حتى في لحظات البهجه

الوصيفة الثالثة :

ايه يا بنتيّ

فلنغتنم اليوم ، فإنا لا ندري ماذا يحمل صبح الغـد

الوصيفة الثانية :

اعتدنا ألاّ يحمل إلاّ وطـــــأة تذكرات الأمس

الوصيفة الثالثة :

أوه ، تنحرفين دواماً عن دورك
كذوات الطبع المأساوي جميعا
تنزلقين من البهجة للحزن كما تنزلق السمكة في المـاء
فلنضحك

الوصيفة الأولى :

حقاً .. فلنضحك

الأميرة :

فلنضحك

« لا يضحك أحد »

الوصيفة الاولى :

لم لا تضحك مولاتي ؟

الاميرة :

لم لا تضحك أم الخير

الوصيفة الثالثة :

لم لا تضحك بره ؟

الوصيفة الثانية :

لم لا تضحك مفطوره ؟

الوصيفة الاولى :

أنا أضحك لكن بره

الوصيفة الثانية :

أنا أضحك لكن أم الخير

الاميرة :

فلنضحك جمعاً في صوت واحد

الوصيفة الثالثة :

هه .. سأعد ثلاثة

الاميرة :

لنفوّتْ لعبتها ولنضحك قبل العد

« ينخرطن في الضحك الى أن يبكين ، وفجأة تصبح الخطى قريبة واضحــــــة ، وكأنها نمت في وسط الضحك ، حتى أصبحت في ساحة الكوخ »

الوصيفة الثالثة :

صوت خطى تتردد في الساحة

الوصيفة الثانية :

خطوات مبطئة متئده

الاميرة :

ليست خطواته

الوصيفة الثانية :

لا يعرفنا أحد في وادي السرو

الوصيفة الاولى :

أو نعرف أحداً

« طرق على الباب »

الوصيفة الثالثة :

من بالباب

الصوت :

رجل يا سيدتي

الوصيفة الثالثة :

من .. ؟

الصوت :

اسمي لا يكشف شيئا

الوصيفة الثالثة :

لكن .. لك اسم

الصوت :

اليوم .. قرندل

الوصيفة الثالثة :

ماذا تصنع في هـــذا الوادي

الصوت :

أتجول

الوصيفة الثالثة :

شراً تنوي أم خيرا ؟

الصوت :

لا أنوي إلا ما تبغين

الوصيفة الثالثة :

أدخل

« يدخل رجل نحيل ، رث الهيئة ، عليه تراب الفقر والسفر »

الوصيفة الثالثة :

هل ضلّت خطواتك في الغابه

قرندل :

بل هذا قصدي

الوصيفة الثالثة :

ماذا تبغي ؟

قرندل :

أن أنفذ ما أوحاه الصوت

حين تقدمني في الغابة حتى أوقفني في باب الكوخ

الوصيفة الثانية :

لكنا لا ننتظرك

قرندل :

أنبأني الصوت

عمن تتأهبن للقياه

الاميرة :

من .. ؟

قرندل :

لا أنطق باسمه

إلا أنْ أصبح ظلي في عينيه

الاميرة :

هل سيجيء الليلة ؟

قرندل :

« ينحني ليلصق أذنه بالارض »

لا أدري

هانذا ألصق أذني بالأرض

فلعلي أسمع من باطنها وقع خطاه

الاميرة :

أسمعت ؟

قرندل :

في كل سبيل

الاميرة :

هل يصبح ظلك في عينيه الليلة ؟

قرندل :

لم ينبئني الصوت

هل أجلس في هـــذا الركن

« دون انتظار الجواب يجلس في ركن المسرح الامامي الايسر ناظراً للباب ، ومولياً ظهره للجمهور »

الوصيفة الثالثة :

هل لك في لقمة خبز ؟

قرندل :

خبزي لم ينضج بعد

الوصيفة الثالثة :

ومتى ينضج خبزك ؟

قرندل :

حين أغني

الوصيفة الثالثة :

ومتى ستغني

قرندل :

إن فرغت أغنيتي

الوصيفة الثالثة :

ومتى تفرغ أغنيتك ؟

قرندل :

ما زالت شذرات لم تتلاءم بعد

ويحيرني آخر سطر فيهـــا حتى الآن

الوصيفة الثالثة :

رجل أنهكه الفقر وأضوى عقله

يهذي لا يدري ما ينطق بـــه

الاميرة :

إني أتوجس من هيئتـــه أمرا

الوصيفة الثالثة :

شراً أم خيرا ؟

الاميرة :

لا أدري، لكني أشعر أن حروف حديثه تطوي،أشياء

الوصيفة الثالثة :

لا تطوي إلا فقره

فدعيه ملقى في ظل الحائط حتى يرحل

لنعد لمواجدنا الليليليله

الوصيفة الاولى :

بالترتيب ؟

الوصيفة الثالثة :

بالترتيب

. ماذا كنا نفعل قبل مجيئه

الوصيفة الثانية :

كنا قد أتممنا دور الضحك المفضي للدمع

الوصيفة الثالثة :

فالآن أوان الحفله

« تصفق بيديها »

الحفلهْ .. الحفلهْ

« تجلس الوصيفتـــــان الاولى والثالثة على الارض في الظلام ، وتنهض الاميرة متهادية لتتمدد على المائدة في وضع اغراء ، بحيث تبدو المـــــائدة كسرير ، وتختفي الوصيفة الثانية لحظة لتعود وعلى وجههـــــا قناع رجل في كال العمر : ذي شارب كثيف وهيئة متحدية :

الاميرة :

وأخيراً جئت بعد أن جن نهاري
بشقائي وانتظاري
وتعجلت المنيهات الى الليل ..
تمنيت لو استطعت اختصار الأفق الممتد في لحظـــة
ضوء
تنطفي في نفخة مثل انطفاء الشمعدان
آه لو أملك للشمس عدوى الشمس ، أمراً وقضـــاء
آه لو أملك أن أحبسها تحت سريري
حيث لا تسمع ديك الفجر إذ يعلن ميلاد الضياء

آه لو أملك أن أحبس أنفاسي وأغفو طول عمر النور

فإذا ما أظلم الليل تبرجت على غصني

تنفست نسيم الليل ، أورقت انتشاء وسرور

ليلكة الظل أنا

عابدة الظلام

الزهرة التي تخاصم السنا

وتعشق القتام

الوصيفة الثانية :

« تحني رأسها في صمت »

الاميرة :

وأخيراً جئت يا نهر حياتي

فاسق جلدي ، شققتــــه الشمس حتى صار كالأرض البوار

الوصيفة الثانية :

« تمد يدها على ذراع الاميرة »

الاميرة

« هي تنهض قليلا وتتحسس الوصيفة من وسطها الى وجهها »

آه ،تبدو مثل رمح مشرع تم استواء ومضاء

آه ، تبدو مثل سيف مرهف قد زاده الصقل جلاء

آه ، تبدو كإله طيب قاس نبيل

آه ، تبدو شجره

آه ، تبدو سكره

آه ، تبدو قمرا حلوا مطلا

آه ، تبدو كل شيء زار أحلامي ، وأحلى

الوصيفة الثانية :

« تمد يدها الى صدر الاميرة »

الاميرة :

أترى صدري يرضيك استواء واستداره

حقلك العاشق يبغيك كما تبغيه

فتلمسه ، تحسسه ، وأوجعه ، فقد تنبت فيـــه

زهرة عاطرة تغريك أن تقطفها ، تطبــع منها

وشمة في صدرك المفرود كالقلع على بحر الجساره

الوصيفة الثانية :

« ترفع الاميرة اليها »

الاميرة :

آه علقني باكتافك كالعقد ، وداعبني وانثرني حبات ..

وبعثرني على جسمك موسيقى ونورا

ثم لملمني وانظمني في حبل امتلاكك

وتحسسني واختمني بختمك

وليعدك الغد لي طفلاً شقياً وجسورا

الوصيفة الثانية :

« تترك الاميرة لتسقط أمام السرير ، وتبتعد عنها خطوة »

الاميرة :

ترخي جفنيك كأنك مهموم

تتمدد في وجهك غيمة ضيق مكتوم

بم أغضبتك

هل أبدو ساذجة لا تعرف أسرار الحب

أم أبدو مسرفة في اظهار عواطفها

علمني ما أفعل

لكن لا تتركني

الوصيفة الثانية :

تبتعد خطوة أخرى واضعة يدها تحت ذقنها ..

الاميرة :

هل تعشق أخرى طافت ذكراها في عينيك

فحجبت صفاءهما عني

ويلي ، لو كان الأمر كما أخشى

فسأقتل نفسي

الوصيفة الثانية :

تبتعد خطوة ثالثة ، ثم تظل تشير بيديها كأنها تتحدث .

الاميرة :

ماذا .. ؟

لا ترضى أن تأتيني في السر كما يأتي اللص !

تتحين نوم الحراس وتستخفي في ظل الجدران !

تبغي مفتاح القصر ؟

الوصيفة الثانية :

« تستأنف نفس الاشارات »

الاميرة :

لكن أبي يحفظ مفتاح القصر وخاتم ملكه

تحت وسادته حين ينام

الوصيفة الثانية :

متجهة ، تبتعد خطوة أخرى

الاميرة :

ويحي ، لا أدري ما أفعل

لم أعتد أن تمتد يدي في فرش أبي

الوصيفة الثانية :

« تستدير متجهة للانصراف »

الاميرة :

ساقودك للغرفة

وستأخذه أنت

« تهبط الاميرة عن المائدة ، وتدور هي والوصيفة الثانية دورة حولها ، لنجد الوصيفة الثالثة ، وقد ارتدت قناع الملك الشيخ ، تصعد الى المائدة ، وتغفى فوقها »

تتقدم الاميرة والوصيفة الثانية نحو الوصيفة الثالثة، تتأخر الاميرة لتمد الوصيفة الثانية يديها نحو المائدة ، وتتحسس بهما عنق الوصيفة الثالثة (الملك الشيخ) .. ينطفي النور ، ليضيء على صرخة الاميرة »

الاميرة :

ويلاه

أقتلت أبي

وسلبت الخاتم ، حتى ترفعه في وجه الناس ...

وتحكم به

ماذا أفعل

أنت حبيبي وعمادي ، وقتلت أبي وعمادي

أ أشير اليك ، وأدعو :

هذا قاتل مولاي

أم أطوي كفي ، أغرق سري في دمعي المكتوم

أتكلم أم أصمت

أوجع من هذا كله

أ أحبك

أم أبغضك

الوصيفة الثانية :

« تستدير الى الاميرة محاولة اقناعها »

الاميرة :

ماذا ؟

تبغي أن أنبأهم أن أبي حين أحس الموت

ناداك إليك وأوصى لك بابنته .. بي

وبملكه

أسلمك الخاتم والمفتاح

تنشدني الحب ولذات الماضي ووعود المستقبل

لا .. لا .. لا أقدر

بل ما أعجزني أن أفقدك وأفقده في ذات الوقت

يكفيني في اليوم الواحد جرح واحد

ليكن ما تبغي ، ولتدع كبير الحراس

« تظهر الوصيفة الاولى ، وقد ارتدت قناع كبير الحراس ، يتبادل الثلاثة الاشارات . ثم تنصرف الوصيفة الاولى مطرقة طائعة .

الاميرة :

والآن أخرج حتى أبكي رجلي المقتول

وأزف اليك مطهرة بدموعي

يا رجلي القاتل

أخرج .. أخرج

تنهار الاميرة في بكاء جارف على سرير الملك الميت ، بينما تخلع الوصيفتان قناعيهما وتقفان وراء الاميرة ، وتبكيان ، ويتردد البكاء في ايقـــاع موحد ، وفي أثناء ذلك يدخل من ينتظرونـه .. السمندل .

السمندل :

آه ، كدت أضل طريق الكوخ

لولا أن قادتني أشجار السرو

ما هذا .. ؟

حفل بكاء .. هـــل مات أحد

أم أن النسوة يبكين ليملأن القلب الفارغ

« تعقد مفاجأة دخوله السنة النساء ، وتخلع الوصيفة الثالثة قناعها ، وتهب واقفـــة ، بينما تلتفت الاميرة والوصيفتان اليه »

السمندل :

حق ما خمنت

الميت وهمي والدمع غزير

الاميرة :

أنت .. ؟

السمندل :

لا يعرفني أحد مثلك

الأميرة :

ما جاء بك الليله ؟

السمندل :

قلب يبحث عن أضلاعه

الأميرة :

هذا ما أعددت من الكلمات لتلقاني

تنفخ في كلماتك كالفقاعات

حتى تصبح فارغة براقه

السمندل :

ما هذا صوتي ، بل صوت الحب

الاميرة :

أرجوك .. لا .. لا ..

لا تفسدها

السمندل :

ماذا ؟

الاميرة :

اللحظة

انظرن ، صديقاني

انتظرت كل خلايا جسمي لمسة هذي اللحظـــــة

انتفض دمي يتشهى رعشتها النارية من أزمان

دار حوالي مقدمها المتسربل في غيب الليل
نومي ومقامي
أكلت هذي اللحظة من أرقي ، شربت من عطشي
لبست أيامي
علقت بذروتها الموعودة عنقي ،
وتدليت لأنتظر القادم ذاتَ مساء
كنت أقول لنفسي
هل يأتي منتقما ، أو مزدريا ،أو مكتئبا، أو منكسرا
أو ندمانا ، أو مجروحا ، أو محتضرا
لكن وا أسفاه
ها هو ذا يأتي متشحا بالكذْب كما اعتاد

قد عامت في شفتيه الألفاظ

لامعة ومراوغة كالزيت

وا أسفاه ما زلت كما أنت

اوه ، اذهب عني .. لا .. لا تذهب

أغفر لك كل خطاياك

إلا أن تفسد لحظة صدق

الوصيفة الثالثة :

عجبا

تذكر أن قد أفسد لحظتها الموعوده

لكن تنسى أن قد أفسد كل العمر

السمندل :

صمتا يا شمطاء

لم أفسده ، لكني أنضجته

صارت بنت العشرين

تحت جناحي امرأة حافلة بالشهوة والنار

بالمتعة والعار

بالحب وبالبغض

بالرغبة والرفض

الوصيفة الثانية :

أنت قتلت أباها ..

السمندل :

ها .. لم أقتله ، لكني عجلت بموته

كان هباء منثورا فوق ملاءته المهترئه

ما كدت ألامسه حتى طار على أجنحة الموت

الاميرة :

ما أغرب ما خدعتني عيناي

كم أنت ثقيل الوطأة حين تريـــــد استعراض ذكائك

السمندل :

كان أبوك مريضاً منذ رأت عيناك النور

كان العامة حين تدور الكاس يقولون :

أن السوس الناخر في أخشاب المخدع
قد جاوزها ليعربد في ساق الملك الخشبيه
بل كان البعض يقولون :
أن ضموراً قد مس الأعضاء الملكيه
حتى ضاقت كتفاه ، وقصرت كفاه
بل قد شاعت شائعة أن هزلت ساقاه
حتى صارت ساق الملك الخشبيه
أقصر من ساق الملك الأخرى الحيه
بل قالوا أنّ لحيته قد سقطت
أن قد برز له نهدان

الاميرة :

جلف أيضاً

السمندل :

مست رأسي الفكرة ذات مساء
كنا نسمر فيه نحن الحراس
في نوبتنا فوق السور
وسمعت القائل :
الملك سيمضي لم ينجب ولدا كي يخلفه في عرشه
كي يرفع خيمته المنهاره

الاميرة :

ولهذا قدمت الى الحب .. بلا حب

السمندل :

عشر سنين يا طفله

لكني .. كنت أحبك

الاميرة :

لم أصبح طفله

السمندل :

بللت عروقك بالحلوى والقبلات

حتى دارت أثمارك في ثوبك

فهززت غصونك ، فانفرط العقد

الاميرة :

لا يحكي عن مضجعه إلا رجل وغد

السمندل :

أنا لا أحكي

لكني أتذكر

أذكر حين أملتك نحوي أول مرة

واهتز النهدان كما يرتجف العصفور المبتل

وتمايل قدك كالغصن المثقل

هذا كان ..

في العام السادس من صحبتنا

أذكر حين تمددنا عريانين لأول مرة

وتعانقنا حتى مات الظل ومات النور

في حضنينا

هذا كان في العام الثامن من صحبتنا

كنت تقولين إذا داعبك الحب فأيقظ أوتارك

« يا قمري العريان

يا وردتي الملتهبة

يداك حبل وضلوعي عربه

قدني الى حدائق النيران »

الاميرة :

صه .. أصمت

السمندل :

بل أذكر أنك ذات مساء هسهست باذني

أمطر في بطني طفلا

الاميرة :

أرجوك .. أصمت

السمندل :

أذكرت .. ؟

الاميرة :

ذكرت

السمندل :

ولهذا جئت

الاميرة :

ماذا .. ؟

السمندل :

كي نصنع أياماً أجمل مما فات

الاميرة :

ولماذا جئت الليله ؟

السمندل :

كي نبدأها الليله

الاميرة :

مسكين

السمندل :

هذا حق

فأنا من دونك لا أدري لي حضنا أرقد فيه

أنسى في نضرته الأيام الجهمه

الاميرة :

وأنا مثلك

هل سنعود الى سالف عهدينا

السمندل :

أصفى مما كنا

الاميرة :

هل تكسر باب الزمن الميت

وتبلل أحزاني بالحلوى والقبلات

هل ستعيد إليَّ الطفله

السمندل :

إن عدتِ إلى حبي

الاميرة :

لكن .. قل لي

ما أحوال القصر

السمندل :

في خير

الاميرة :

لم تتهـــاوى نبرة صوتك تحت حديثك

وكأنك .. ترهقها بالكذب

السمندل :

بل في خير جداً ..

الاميرة :

والحراس

السمندل :

يرتجفون إذا ذكر اسمي

الاميرة :

والقادة والجند

السمندل :

ينكمشون لمرآي

حتى تدخل أعناقهم في أرجلهم

الاميرة :

ما زالوا يبتلعون القصه ؟

السمندل :

أية قصه .. ؟

الاميرة :

قصة موت الملك المقعد

من بعد وصيته لك

السمندل :

ماذا تعنين

الاميرة :

لا أعني شيئاً ، لكني أسال

أرجوك

أصدق مره

لا من أجلي ، بل من أجلك أنت

ولنبدأ منذ البدء

لم جئت

السمندل :

هل ما زلت على حبي .. ؟

الاميرة :

لا تنسى المرأة أول رجل باتت ساخنة في كفيه

تستخفي ذكراه كما تستخفي الدوامة في الماء

السمندل :

أنا مقهور يتشقق ملكي من حولي كلحاء الشجره

أنكرني الحراس

الأميرة :

والقادة والجند ؟

السمندل :

هجروني

الاميرة :

ماذا لو عدت معك ؟

السمندل :

قد يصفو الأمر

الاميرة :

لك .. ؟

السمندل :

لنـــا ..

الاميرة :

كيف .. ؟

القرندل :

« يهب من ركنه المظلم فجأة »

ها قد تمت أغنيتي

فاسمعن مقاطعها

السمندل

« للأميرة »

من هذا ؟

القرندل:

لا تشغل نفسك بي

كن ضيفي في أغنيتي

السمندل :

من أنت ؟

القرندل :

أسمي لا يعني شيئا

السمندل :

ماذا تعمل ؟

القرندل :

لا أعمل شيئا

أحياناً أتأمل في الشمس الى أن تغرب

أو في الليل الى أن تشرق

أرقص أحياناً في أفراح الخلان

أحياناً أكتب

السمندل :

مـــاذا تكتب ؟

القرندل :

ما يحدث ..

السمندل :

هل تسكن في هذا الكوخ ؟

القرندل :

بل عندي عمل سأوديه

فالليلة أنا مدعوٌ أن القي أغنيتي

السمندل :

مدعو ، ممن ؟

القرندل :

هل تسمع صوت الريح

السمندل « للأميرة »

ادعوتِـه ؟

القرندل :

أدعوت الريح

اسمع .. هي أيضاً تحكي

اسمع .. اسمع

السمندل :

ماذا تحكي الريح .. ؟

القرندل :

ما يحدث

السمندل :

رجل مجنون

القرندل :

بل شاهد

السمندل :

ماذا تبغي ؟

القرندل :

أن يصبح ظلي في عينيك

السمندل :

من أين أتيتن بهذا الرجل المجنون

هيا نذهب يا حلوه

الاميرة :

ووصيفاتي

السمندل :

فليتبعنك فيما بعد

سنحث الخطو الى القصر

ندرك أول خيط الفجر

وسنخرج في الصبح الى الميدان ، وكفانا معتنقان

ونقول لهم أن اميرتهم قد عادت

خلعت ثوب الغفران على عاشقهـــا المثقل بالذنب

فتلقاه عاشقها المثقل بالذنب بأجلى آيات العرفان

القرندل

« ممتقعاً ، وقد امتدت قامته النحيلة ، وبان عليــــه

غضب وحشي »

لا .. لا .. أرجوك

طعنت قلب مدينتنـــا ذات مساء كذبه

فاعتلت واسترخت مثقلة بالجرح

والليلة قد تهوي ميته أنهاراً وتلالاً ومنازل

لو ولدت في ساحتها أخرى

السمندل

أصمت يا مجنون

هيـــا .. هيـــا

القرندل :

ووا أسفاه ، لا بد وأن ألقي أغنيتي

« يندفع القرندل نحو السمندل ، ويحيط رقبتـــه
باصابعــــه ، ثم يحدق في عينيه »

هذا ظلي في عينيك

يا سمندل

« يستل القرندل سكيناً من ثيابه ، ويدفعها في صدر
السمندل

خذ ، هذا آخر مقطع

« يتهاوى السمندل على المائدة ، ويستدير القرندل
الى النسوة المندهشات »

تمت أغنيتي

استودعكن الله ....

« يتجه نحو باب الكوخ ، ثم يستدير قبل أن يخرج
ليرى الاميرة تقف متهاوية »

آه ، لا يجعل بي أن أنسى
هذا تذييل لا تكمل أغنيتي دونه
يا أمرأة وأميره
كوني سيدة وأميره
لا تثني ركبتك النورانيـــة في استخذاء
في حقوى رجل من طين
أيا ما كان
وغداً أو شهما
عملاقا أو أفاقا
ولتتلقي ألوان الحب ، ولا تعطيه
اضطجعي مع نفسك
ولتكفك ذاتك

ليكن كل الفرسان الشجعان
ممن يحلو مرآهم في عينيك
لك خداماً لا عشاقا
أو عشاقاً لا معشوقين
« يخرج »
الاميرة
« وهي تبكي بجانب الفراش وتقبل السمندل »
آه ، ما أصدقه ميتاً
انظرِن ماتت بسمته الفاتنة اللزجه
وبدا مرتعداً مذعوراً في صدق فاتن
آه ، ما أجمله ميتا
إذ يتكوم في فرشي كالوعل المرهق

فلاغلق نافذة الرعب -

« تغلق عينيه »

ولأثن ذراعي حذر لم ينفع

ولأرفع ساقين أحبا أن يرتفعا

حتى لو خاضا في عمق الطين

أوه ، مـــا أشبهه في ضجعته بأبي

أنظرن ، وباركن

أكتملت لحظتي الموعودة حتى سحقت نفسي قطعـا

« تتهاوى جالسة بجانب المائدة ، وقد أدارت ظهرها للجثة ، تلمع على وجهها ابتسامة بالغة الضياء ، وعيناها مغلقتان كأنها تحلم ..

الوصيفة الثالثة :

« مندفعة نحو الاميرة ..

مولاتي ... مولاتي

الاميرة :

« كانها تفيق من حلم ، وقـــد أدارت ظهرها للمشهد السابق كله »

ماذا .. هـــل سرق النوم الخادع نزهتنا الفجريه

هل أخلفنا ميعاد البلبل والطل

الوصيفة الثالثة :

لا ، يا مولاتي .. لكن

الاميرة :

لكن ماذا ... ؟

لا تبتئسي يا أم الخير

فسندرك أول خيط فضي

وسنملأ كاسينا من ذوب اللؤلؤ فوق خدود الزهر
ونعود الى القصر قبيل الموعد

الوصيفة الأولى :

الموعـــد ... !

الاميرة :

أوه لا تنسي أني امرأة وأميرة
بل سيدة وأميرة
ومن الواجب أن أخرج في الصبح الى الميدان
كي يستجلي أتباعي طلعتي النورانية

الوصيفة الأولى :

معذرة يا مولاتي

الاميرة :

استمتعنا وتنزهنا

وخلعنا عن أنفسنا

عبء التدبير وهم التفكير

وغفونا كالأطفال إذا طعموا مـــا يكفيهم من زاد ومناغاه

مـا الوقت الآن

الوصيفة الثانية :

« تتجه الى الكوة ، وتفتحها ، وتنظر »

الفجر على مرمى سهم

الاميرة :

فلتحزمن متاع الرحله

هل أسرجت العربة يا أم الخير

الوصيفة الثالثة

مولاتي..

الاميرة :

لا باس

فسـأمشي في طرقـات الغابــــة حتى أبواب القصر

وسأدخل ساحــــــة قصري مترجـلة حتى أتلقى من

خدمي ورعاياي

ما يبهج نفسي من حب وخضوع

هيا .. هيا ..

أسرعن

(ستار)

مأساة الحلاّج

مسرحية شعرية

الجزء الأول

الكلمة

المنظر الأول

الساحة في بغداد. في عمق المشهد الأيمن جذع شجرة يتعامد عليه فرع قصير منها ، لا يوحي المشهد بالصليب التقليدي، بل بجذع شجرة فحسب، معلق عليه شيخ عجوز.
تضيء مقدمة المسرح ليبرز ثلاثة من المتسكعين .

التاجر : انظر .. ماذا وضعوا في سكتنا

الفلاح : شيخ مصلوب
ما أغرب ما نلقى اليوم

الواعظ : يبدو كالغارق في النوم

101 / 530

التاجر : عيناه تنسكبان على صدره

الواعظ : وكأنْ ثقلت دنياه على جفنيه
أو غلبته الأيام على أمره

التاجر : فحنا الجذع المجهود ، وحدّق في الترب

الواعظ : ليفتش في موطىء قدميه عن قبره

الفلاح : هل تعرف لم قتلوه ؟
أو من قتله ؟

التاجر : .. هل أعرف علم الغيب ؟
اسأل مولانا الواعظ

الفلاح : هل تعرف يا مولانا ؟

الواعظ : لا .. فلنسأل أحد الماره

التاجر : نعم ، فقد يكون أمره حكاية طريفه
أقصّها لزوجتي حين أعود في المساء
فهي تحب أطباق الحديث في موائد العشاء

الفلاح : أما أنا ، فإنني فضوليّ بطبعي
كأنني قعيدة بلهاء
وكلما نويت أن أكف عن فضولي
يغلبني طبعي على تطبّعي

الواعظ : وحبذا لو كان في حكايته
موعظة وعبره
فإن ذهني مجدب عن ابتكار قصة ملائمه
تشد لهفة الجمهور
أجعلها في الجمعة القادمه
موعظتي في مسجد المنصور

« تضيء مقدمة المسرح اليمنى ، حيث نجد فيها مجموعة من الناس يتقدمهم مقدمهم »

فلنسأل هذا الجمع ...
يا قوم ...

« يتقدمون نحوه خطوة في حركات بليدة »

من هذا الشيخ المصلوب ؟

مقدم المجموعة : أحد الفقراء

الواعظ : هل تعرف من قتله ؟

المجموعة : نحن القتله

الواعظ : لكنكمو فقراء مثله

المجموعة : هذا يبدو من هيئتنا

مقدم المجموعة : انظر .. إني أعمى
أتسول في طرقات الكرخ

واحد من المجموعة : « يتقدم خطوة ، وهو يتحدث وكأنه يقدم نفسه، ثم يتراجع بعد أن يتم كلمته ، ويتكرر هذا مع كل منهم »

وأنا قرّاد

آخر : وأنا حدّاد

ثالث : وأنا حجّام

رابع : وأنا خدام في حمام

خامس : وأنا نجار

سادس : وأنا بيطار

التاجر : هل فيكم جلاد

المجموعة: « يتبادلون النظر ، ثم يقولون في صوت واحد »

لا .. لا ..

التاجر : أبأيديكم ... ؟

المجموعة: بل بالكلمات

التاجر : « ضاحكا ، وناظراً إلى زميله »

قتلوه بالكلمات ...

ها ... ها .. ها ..

مقدم المجموعة : أقتلناه حقاً بالكلمات .. ؟

لا ندري ، وإليكم ما كان

في هذا اليوم ...

المجموعة: صفّونا .. صفّاً .. صفّا

الأجهر صوتاً والأطولْ
وضعوه في الصف الأولْ
ذو الصوت الخافت والمتواني
وضعوه في الصف الثاني
أعطوا كلاًّ منا ديناراً من ذهب قاني
براقاً لم تلمسه كفٌ من قبل
قالوا : صيحوا .. زنديق كافر
صحنا ... زنديق .. كافر
قالوا : صيحوا فليقتل إنا نحمل دمه في رقبتنا
فليقتل إنا نحمل دمه في رقبتنا
قالوا : امضوا فمضينا
الأجهر صوتاً والأطول
يمضي في الصف الأول
ذو الصوت الخافت والمتواني
يمضي في الصف الثاني

« مع ألفاظهم الأخيرة يخرجون من المسرح »

التاجر : هل أدركنا شيئاً

« يضيء جانب آخر من المسرح ، وتبدو منه ، مجموعة من الصوفية »

الواعظ : لا ؛ أنا لم أفهم

الفلاح : فلنسأل هذا الجمع
من أنتم ..؟

مجموعة الصوفية : نحن القتله
أحببناه، فقتلناه

الواعظ : لا نلتقي في هذا اليوم سوى القتله
ولعلكم أيضاً حين قتلتم هذا الشيخ المصلوب...

المجموعة : قتلناه بالكلمات

الفلاح : زاد الأمر غرابه ؟

المجموعة : أحببنا كلماته
أكثر مما أحببناه
فتركناه يموت لكي تبقى الكلمات

التاجر : من أنتم ؟

المجموعة : أصحاب طريق مثله

الواعظ : هل خفتم لما صاح الفقراء
فنكرتم أمره ؟

المجموعة : خفنا .. لا .. لا ..
لا يخشى الموت سوى الموتى
أنفذنا ما أوصانا به

الواعظ : أوصاكم به ..؟

مجموعة الصوفية : كنا نلقاه بظهر السوق عطاشاً فيروّينا
من ماء الكلمات
جوعى ، فيطاعمنا من أثمار الحكمه
وينادمنا بكئوس الشوق إلى العرس
النوراني

الواعظ : عجباً لا أفهم !

« ملتفتاً إلى زميليه »

هل تفهم أنت .. وأنت ؟

« يهزان رأسيهما »

مقدم مجموعة الصوفية : لا تبغ الفهم ... أشعر وأحس

لا تبغ العلم... تعرّف

لا تبغ النظر... تبصّر

هذي كانت كلماته

الواعظ : كلمات لا تدعوكم أن تتخلوا عنه

مقدم مجموعة الصوفية : كان يقول

إذا غسلتُ بالدماء هامتي وأغصني

فقد توضأت وضوء الأنبياء

كان يريد أن يموت ، كي يعود للسماء

كأنه طفل سماوي شريد

قد ضل عن أبيه في متاهة المساء

كان يقول :

كأن من يقتلني محقق مشيئتي

ومنفِذٌ إرادة الرحمان

لأنه يصوغ من تراب رجل فان
أسطورةً وحكمة وفكره
كان يقول : إن من يقتلني سيدخل الجنان
لأنه بسيفه أتم الدوره
لأنه أغاث بالدماء إذ نخس الوريد
شجيرة جديبة زرعتها بلفظيَ العقيم
فدبت الحياة فيها ، طالت الأغصان
مثمرةً تكون في مجاعة الزمان
خضراء تعطي دون موعد ، بلا أوان
وحينما أسلمه السلطان للقضاه
ورده القضاة للسلطان
ورده السلطان للسجان
ورُشّيَتْ أعضاؤه بثمر الدماء
تم له ما شاء
هل نحرم العالم من شهيد ؟
هل نحرم العالم من شهيد ؟

الواعظ : أو لم يحزنكم فقده .. ؟

المجموعة: أبكانا أنا فارقناه
وفرحنا حين ذكرنا أنا علقناه في كلماته
ورفعناه بها فوق الشجره

أفراد المجموعة : — وسنذهب كي نلقي ما استبقينا منها
في شق لمحاريث الفلاحين
— ونخبّئها بين بضاعات التجار
— ونحمّلها للريح السواحة فوق الموج
— وسنخفيها في أفواه حداة الإبلِ
الهائمة على وجه الصحراء
— وندونها في الأوراق المحفوظة بين
طوايا الثوب
— وسنجعل منها أشعاراً وقصائد

المجموعة : قل لي .. ماذا كانت تصبح كلماته
لو لم يستشهد ؟

« يغادرون المسرح مع الأبيات الأخيرة من أول » :
« وسنذهب ... »
« يدخل من خلف الشجرة شيخ في يده وردة »

التاجر : من هذا ؟ ...

الواعظ : هذا الشبلي .. شيخ الزهاد
كان له إقطاع في قريتنا
وتخلى عنه لكي يمضي في طُرُق الصوفية
فلننظر ما يفعل

الفلاح : قد نعرف عندئذ ما القصه

الشبلي : يا صاحبي وحبيبي
« أو لم ننهك عن العالمين »

فما انتهيت
قد كنت عطراً نائماً في وردته
لم انسكبت ؟
ودرة مكنونة في بحرها
لم انكشفت ؟
وهل يساوي العالم الذي وهبتَهُ دمك
هذا الذي وهبت ؟
سرنا معاً على الطريق صاحبين
أنتَ سبقت
أحببتَ حتى جدتَ بالعطاء
لكنني ضننت
حين رأيت النور تقتَ للرجوع
ها أنتَ قد رجعت
أعطيكَ بعض ما وهبتَ للحياة ...
بعض ما أعطيت.

« يلقي إليه وردة حمراء »

رباه لا أستطيع أن أمد ناظري
يجول في روحي وفي خواطري
لو كان لي بعضُ يقينك
لكنتُ منصوباً إلى يمينك
لكنني استبقيتُ حينما امتُحِنتُ عمري
وقلتُ لفظاً غامضاً معناه
حين رموك في أيدي القضاه
أنا الذي قتلتك
أنا الذي قتلتك

« يخرج »

الفلاح : عجباً لم ندرك شيئا

التاجر : لن ترضى زوجي عني الليله

الواعظ : ضاعت عظتي إلا أن أتبع هذا الشيخ الطيب
فيحدثني بالقصه

يا شيخ ... ما القصه ... ما القصه ... من
قاتل هذا الرجل المصلوب ؟ ..
هل ندركه ، فيحدثنا .. ؟

« ينطلقون خلفه »

(ستار)

المنظر الثاني

« بيت الحلاج »

« الحلاج وصديقه الشبلي يتحدثان ، وقد ارتدى كل منهما خرقة الصوفية ، شيخان في أواخر العمر » .

الشبلي : ... يا حلاج ، اسمع قولي

لسنا من أهل الدنيا ، حتى تلهينا الدنيا

أسرعنا لله الخطو العجلان ، فلما أضنانا الشوق الظمآن

طرنا بجناحين
ولمسنا أهداب النور
هل نبصر عندئذ من قلب غمامتنا الفضيه
إلا أشباحاً حائلة تذوي في وهج العرفان
وظلالاً زائلة لا تمسكها الأجفان

الحلاج : لكن .. يا أخلص أصحابي ، نبّئني ..
كيف أميت النور بعيني
هذي الشمس المحبوسة في ثِنيات الأيام
تتثاقلُ كل صباح، ثم تنفّض عن عينيها النوم
ومع النوم ، الشفقه
وتواصل رحلتها الوحشية فوق الطرقات
فوق الساحات، الخانات، المارستانات، الحمامات
وتجمّع من دنيا محترقه
بأصابعها الحمراء الناريه
صوراً ، أشباحاً ، تنسج منها قمصاناً يجري في
لُحمتها وسَداها الدم

في كل مساء تمسح عيني بها ، توقظني من سبحات
الوجد
وتعود إلى الحبس المظلم
قل لي يا شبلي
أأنا أرمد ؟

الشبلي : لا ، بل حدقتَ إلى الشمس
وطريقتنا أن ننظر للنور الباطن
ولذا ، فأنا أرخي أجفاني في قلبي
وأحدقُ فيه ، فأسعد.
وأرى في قلبي أشجاراً ، وثمارا
وملائكة ، ومصلين ، وأقمارا
وشموساً خضراء وصفراء وأنهارا
وجواهر من ذهب ، وكنوزاً ، من ياقوت
ودفائن وتصاوير
كل في أعلى سمته.

أو في أبهى هيآته

الحلاج : هل تدري يا شيخي الطيب
لِمَ نوّر ربي قلبك ؟

الشبلي : هذا حالي يا حلاج
لن تحسدَني ومُعاذَ أخوّتنا أن يخطر في بالك
أن تحصِيَ ما يَلقى عبدٌ من نعمة مولاه
لكن لا تسألني أيضاً .. ما يدريني ؟
أحوالُ الصوفيين مواهب

الحلاج : لا ، إني أشرح لك
لِمَ يختار الرحمن شخوصاً من خلقه
ليفرّق فيهم أقباساً من نوره
هذا ، ليكونوا ميزان الكون المعتلّ
ويُفيضوا نور الله على فقراء القلب
وكما لا يَنقُصُ نور الله إذا فاض على أهل النعمه

لا ينقص نور الموهوبين إذا ما فاض على الفقراء

الشبلي : لا ، يا حلاج
إني أخشى أن أهبط للناس
قد أبسط أجفاني فوق الدنيا
فأرى ، يُسْراها ، أتمنى النعمى واليسرى
وأرى ، عُسراها ، أتوقى العسرى
ويموت النور بقلبي

الحلاج : هبنا جَانَبْنَا الدنيا
ما نصنع عندئذ بالشر ؟

الشبلي : الشر
ماذا تعني بالشر ؟

الحلاج : فقر الفقراء
جوع الجوعى ، في أعينهم تتوهج ألفاظ
لا أوقن معناها

أحياناً أقرأ فيها

« ها أنت تراني

لكن تخشى أن تبصرني

لعن الديان نفاقك »

أحياناً أقرأ فيها

« في عينيكِ يذوي إشفاق تخشى أن يفضح زهوك

ليسامحك الرحمن »

قد تدمع عيني عندئذ ، قد أتألم

أما ما يملأ قلبي خوفاً ، يضني روحي فزعاً وندامه

فهي العينُ المرخاةُ الهدبُ

فوق استفهام جارح

« أين الله » .. ؟

والمسجونون المصفودون يسوقهمو شرطي مذهوب اللب

قد أشرع في يده سوطاً لا يعرف مَن في
راحته قد وضعه
مَن فوق ظهور المسجونين الصرعى قد رفعه
ورجال ونساء قد فقدوا الحريه
تخذتهم أرباب من دون الله عبيداً سُخريّا
يا شبلي
الشر استولى في ملكوت الله
حدثني .. كيف أغض العينَ عن الدنيا
إلا أن يظلمَ قلبي

الشبلي : مهلاً .. مهلاً
بل أنتَ الآن على حافة أن يظلم قلبك

الحلاج : لا ، بل إني أتنوّرُ من رأسي حتى قدمي

الشبلي : صمتاً ، وإليك جوابك كي ترتد إلى نفسك
هل تسألني من ذا صنع الفقر ؟

من ألقى في عين الفقراء ؟

كلماتٍ تفزع من معناها

وإليك جواب سؤالك :

الظلم ...

هل تسألني من ذا صنع القيدَ الملعون، وأنبت

سوطاً في كف الشرطي ؟

وإليك جواب سؤالك ؟

الظلم

هل تسألني من ذا صنع الاستعباد ؟

الظلم ...

لكني ألقي في وجهك

بسؤالٍ مثلِ سؤالك

قل : من صنع الموت ؟

قل : من صنع العلة والداء ؟

قل : من وَسَم المجذومين ؟

والمصروعين ؟

قل : من سمل العميان ؟
من مدّ أصابعه في آذان الصم ؟
من شد لسان البكم ؟
من سوّد وجه السود ؟
من صفّر وجه الصفر ؟
من ألقانا في هذي الدنيا مأسورين
لنغصّ بمشربنا ، ونُشاكّ بمطعمنا
نتنفس أبشع رائحة مصّاعِدَةٍ من رجع حلوق
الموتى

الموتى الأحياء المقتولين القتله
الكذابين الخوانين ، لصوص الأطفال، ومنتهكي
الحرمات وتجار الدم

وزناة الليل وقوّادي القرباء
وجباة بيوت المال
ومرابيّ الأسواق وبياعي الخمر
من ألقانا بعد الصفو النوراني

في هذا الماخور الطافح
من .. من .. ؟

الحلاج : لا .. لا .. لا أجرؤ
أتريد تقول ...
لا .. لا ..
لا تملأ نفسي شكاً يا شبلي

الشبلي : بل إني أملأها علماً ويقينا
يا حلاج
الشر قديم في الكون
الشر أريدَ بمن في الكون
كي يعرف ربي من ينجو ممن يتردّى
وعلينا أن يتدبر كل منا درب خلاصه
فإذا صادفتَ الدرب فسرْ فيه
واجعله سراً ، لا تفضح سرك

الحلاج : يا شبلي

دعني أتأمل فيما قد قلت الآن
ها أنت تزلزلني في داري
والسوق يزلزلني إن أترك داري
كلماتك تجذبني يمنه ..
وعيونيَ تجذبني يسره ..

« مناد ينادي بالخارج »

ابراهيم : هل أدخل يا شيخي ؟

الحلاج : ما أجمل خلوة روحينا يا شبلي
ما أحلى أن نتكاشف ، لكن الأيام ضنينه
ومواجدنا لا تنفد
فليشهدنا ابراهيم
هل تعرفُه ، شاب من أهل الله ..

الشبلي : .. وأحبه

الحلاج : أدخل يا ابراهيم

« يدخل إبراهيم بن فاتك ، منزعج الخاطر مسرعاً »

الحلاج : ماذا تطوي في قلبك حتى فاض على سيماك
هدىء من روعك ، فالدنيا عند الشبلي
في خيرٍ ما دمنا في خير

ابراهيم: ما أصبحنا في خير بعد الآن
قد كنت أزور اليوم القاضي ابن سُرَيْج
نبّأني أنّ ولاة الأمر يظنّون بك السوء

الحلاج : بي يا ابراهيم ؟..

ابراهيم: .. ويقولون
هذا رجل يلغو في أمر الحكام
ويؤلّب أحقادَ العامه
ورجاني أن أنبيك رجاءه

بالحيطة والكتان

الحلاج : ماذا نقموا مني :

أترى نقموا مني أني أتحدث في خلصائي

وأقول لهم إن الوالي قلب الأمه

هل تصلح إلا بصلاحه

فإذا وُلّيتُم لا تنسوا أن تضعوا خمر السلطه

في أكواب العدل ؟

أترى نقموا مني تدبيري رأيي في أمر الناس

إذ أشهدهم يمشون إلى الموت

لكنّ توجههم للموت يباعدهم عن رب الموت ؟

ابراهيم: زعموا أن قد أرسلتَ رسائل سريه

لأبي بكر الماذرائي ، والطولوني ، ولحمْد القنائي

وسواهُمْ ممن يطمح للسلطه

الحلاج : هم بعضُ وجوه الأمه

وهمو أيضاً خلصائي ، أحبابي

وعدوني إنْ ملكوا الأمر
أن تحلو سيرتهم ويَعِفّوا عن سَقْط الفعل
أن يعطوا الناس حقوق الناس على الحكام
فنجاوَبهم بحقوق الحكام على الناس
هم زهرة آمالي في هذا العالم ، يا ابراهيم
ولهذا أرْويهم من خطراتي، وأندّيهم برقيق القول

الشبلي : يا حلاج
لا أدري للصوفيّ صديقاً إلا نجوى الليل
وبكاءَ الخوفِ من الدنيا
وأناشيدَ الوجد المشبوب وآهات الذل
وفتوحَ المحبوب بنور الوصل
فاذا ثقلَتْ في جنبيه الوحده
فليلزَم أهل الخِرقةِ ، أبناء الفاقهْ
ممن قنَعوا باليأس عن الآمال
طرحوا الإنكار ببحر التسليم
حجبوا عن أعينهم همّ الرؤيه

فرأوا ما لم تره العين

قل لي .. يا حلاج

أوثِقت بأن وجوه الأمة ممن تعرف

إن وُلّوا ظلّوا أهل موده ؟

الحلاج : لا يعنيني أن يرعوا وُدّي أو ينسوه

يعنيني أن يرعوا كلماتي

الشبلي : بل ما يدريك بأنهمو إن ولوا لم تسكرهم خمر السلطه

وبأنهمو ما التفّوا حولك

إلا لكراهتهم من دَبَر لك

الحلاج : قد خِبْتُ إذن ، لكن كلماتي ما خابت

فستأتي آذان تتأمل إذ تسمع

تتحدر منها كلماتي في القلب

وقلوب تصنع من ألفاظي قُدره

وتشد بها عَصَبَ الأذرع

ومواكبُ تمشي نحو النور ، ولا ترجع

إلا أن تسقى بلُعَاب الشمسِ
روح الإنسان المقهور الموجَع

ابراهيم. مولاي
أخشى أن يدركك الكيد الظالم
ماذا تنوي ..؟

الحلاج : ما يرضاه الرحمن لمخلوقٍ في صورته، ذي روحٍ متصف بصفاته

ابراهيم: هل يقصدُ مولاي خراسان
ويظل بها حتى يهدأ عنه السعي المحموم ؟

الحلاج : خراسان .. خراسان
لينوّر قلبك ربي ، يا ابراهيم
أخراسان .. الجنه
كي يقصدَها من أضنته الدنيا ؟
هل ثمتَ عدلٌ وصفاء بخراسان

كي يقصدَها من أمرضه الظلم ؟

ابراهيم: يا مولاي
الظلم بكل مكان
والجنة آخر سعي الإنسان
لا أول سعيه
ها أنت وحيد، شيخ مجهود، أضناك التطواف
في أرجاء الدنيا طلباً للفطنه
ورجعت لتلقى الحمق يسود بكل مكان
يتحرش بك ..
آلاف الحمقى .. آلاف الآلاف
أعداؤك كُثْرٌ يا مولاي ؟

الحلاج : لكنَّ صحابي أكثرُ من أعدائي

ابراهيم : لا أبصر مخلوقاً منهم يا مولاي
إلا شيخي الشبلي ، وأنا

وكلانا مسكين يتحسس خطوه

الحلاج : أصحابي أكثر من أن تُحْصِيَهُم يا إبراهيم
أصحابي آيات القرآن وأحرُفُهُ
كلماتُ المحزونِ المهجور على جبل الزيتون
أحياء الأموات الشهداء الموعودون
فرسانُ الخيل البُلْق ذوو الأثواب الخضراء
آلاف المظلومين المنكسرين

ابراهيم : يا مولاي
في عصر ملتاثٍ ، قاسٍ ، وضنين
لن يصنع ربّي خارقة أو معجزة، كي ينقذ جيلا من هلكي
قد ماتوا قبل الموت

الحلاج : يا ولدي ، كم أخطأت الفهم !

لا أطلب من ربي أن يصنع معجزة ، بل أن
يعطيني جَلَدا
كي أدرك أصحابي عنده

ابراهيم: يا مولاي
خوفي لا يسعفني أن أفهم عنك
هل تأذنُ لي أن أذهب للماذرائي
استرشده فيما نفعل ؟

الحلاج : بل تسأل قلبك !

ابراهيم : بل ، تأذن لي ، ولك الفضل

الحلاج : اذهب ، قل له
يرجوك الحلاج
أن تحفظه في قلبك
« يخرج ابراهيم »

الشبلي : رجلٌ طيّب ..
ويحبك

الحلاج : يقصيه هذا عني
أحيانا يخطىءُ سُبلَ الحبْ
ويحب الله بشخصي

الشبلي : ماذا تعني ..؟

الحلاج : لو أحببني في الله
بدلاً من حُبّ إلهي فيّ
لم يفزع ، لم ينصحني بالهجرة لخراسان

الشبلي : هذا حق
لا أنصح بخراسان
قل لي يا حلاج

هل ما اشتقت إلى الحج ؟

الحلاج : الحج ...
هل أوقد قلبي ناراً إلا الحج ؟
هل أنضجَ قلبي إلا وقد الصحراء وسعي
الرمضاء
والصوم إلى أن أغفى الجسم الناحل في جذع النخله
في أرض مدينته الخضراء
وُلدَت كلمات الله هناك بقلبي المثقل
فأتيتُ بها ، طوّفتُ بأرض الناس
عن فتنةِ طلعتها أنضو أطراف ثيابي شيئاً شيئا
حتى لا يبهرهم حسن الحمل ،
فيظنون بي السوء ، ويتهمون يقيني
يا شبلي
أنا لم أكشف عن طلعة حالي بعد
والحج سيلقى في قلبي حَملا آخر
لا .. لا .. قلبي لم يفرغ بعد

الشبلي : أومأتَ ، وما صرّحْت ، فماذا تنوي ؟

الحلاج : هل تذكر ما قال لنا عمرو المكي ..
لمّا أعطانا الخرقة والعهد ؟
« يا ولدَيّ ...
الحب الصادق
موت العاشق
حتى يحيا في المعشوق
لا حُبّ إذا لم تخلع أوصافك
حتى تتصف بأوصافه »
وأنا أنوي أن يكمل حبي لله
أن أخلع أوصافي في أوصافه
أنا إنسان يضنيني الفكر ويعروني الخوف
ثبّت قلبي يا محبوبي
أنا إنسان يظمأ للعدل ويقعدني ضيق الخطو
فأعرني خطوَكَ يا محبوبي

وشفيعي في صدق الرغبة والميل
قلبي المثقل
ودموعي في الليل
سأخوّض في طرق الله
ربانياً حق أفنى فيه
فيمدّ يديه ، يأخذني من نفسي
هل تسألني ماذا أنوي ؟
أنوي أن أنزل للناس
وأحدثهم عن رغبة ربي
الله قوي ، يا أبناء الله
كونوا مثله
الله فعولٌ يا أبناء الله
كونوا مثله ...
الله عزيز يا ابناء الله

الشبلي : .. خَفّفْ من غلوائك يا شيخ

فلقد أحرمتَ بثوب الصوفي عن الناس

الحلاج : تعني هدى الخرقه
إن كانت قيداً في أطرافي
يلقيني في بيتي جنب الجدران الصماء
حتى لا يسمع أحبابي كلماتي
فأنا أجفوها أخلعها .. يا شيخ
إن كانت شارة ذل ومهانه
رمزاً يفضح أنا جمَّعْنا فقر الروح إلى فقر المال
فأنا أجفوها ، أخلعها ، يا شيخ
إن كانت ستراً منسوجاً من إنـّيَتِنا
كي يحجبنا عن عين الناس ، فنحجب عن عين الله
فأنا أجفوها ، أخلعها ، يا شيخ
يا رب اشهد
هذا ثوبك
وشعار عبوديتنا لك

وأنا أجفوه ، أخلعه في مرضاتك
يا رب اشهد
يا رب اشهد
« يخلع الخرقة »

(ستار)

فلسفته في ...

المنظر الثالث

« نهاراً . الساحة في بغداد . الواعظ
والتاجر والفلاح يتسكعون »

الواعظ : ... وألزم كل صاحب بيت
بأن يلقي بدينار لبيت المال
لكي يُثبت حقّ الملك

الفلاح : وهل أثبتّ حق الملك للقصرين في بغداد
وللبيت المشيد في نواحي الكرخ

الواعظ: سؤالك ساذج إذ دار في ذهنك

التاجر : وجهرك بالسؤال يدل أنك ساذج ضِعفْين

الواعظ: ولو جاوبتُ أو علَّقتُ كنتُ الساذج الأكبر

التاجر : يقال بأن بعض وجوه أهل الفضل
سعوا في القصر حتى يستتب العدل

الفلاح : وهل هم أهل عدل في ضياعهمو وثروتهمْ
مع الخدام والأتباع والأجراء والغلمان

الواعظ: سؤال ساذج ثانِ

التاجر : إذن ، فالكون قد على العدوان
ولا جدوى ، فما في الوسع إلا الاحتيال عليه
وأن ندْعُوَ ربَّ العرش أن يصرفه عنا

« يميلون إلى جهة من المسرح ، ويدخل ثلاثة آخرون أحدب وأعرج وأبرص ، وهم من أفراد المجموعة الذين ظهروا في المشهد الأول » .

الأحدب : نعم ، إنـّي أحب الشيخ
ولكني أسائِلُ نفسيَ الحيرى
ترى يستطيع أن ينصب ظهري بعدما أحدب؟

الأعرج : أحس إذا سمعت حديثه الطيب
بأني قادر أن أثنيَ الساق،وأن أعدو،وأن ألعب
بلى ، فلقد أحس بأنني طير طليق في سماواته
ولكني إذا فارقت محفله تمدت لي
ظلال الشك في حالي
وعدت أجر ساق العجز ، يعرج خطوها المتعب
على دقات ساق الفقر والإملاق

الأبرص : كأن الشمس حين أراه قــــد سمعت ضراعاتي
وقد صبغت مذلاتي
وصرت أجوس في الطرقات مختالا،نضير الوجه،
ورديّ الذراعين

بلا سوء ولا وسم بسيمائي
ولكني إذا فارقته لملمت ثوبي فوق أعضائي
ولذت بستر مسغبتي وإعيائي وأدوائي

« يميلون إلى جهة ثانية من جهات المسرح »

« يدخل ثلاثة من المتصوفين »

الأول : ولكن شيخنا قد خلع الخرقه

الثاني : وهبه خلع الخرقه ...
ترى هل خلع القلب الذي وُسّد في الخرقه ؟
أو الله الذي يحيا بهذا القلب ؟

الثالث : ولكن تلك شارتنا ، ورتبتنا التي نُزْهى
ونحس أنّا حين نلبناها
خلعنا الكون وقمصنا جناحيّ توقنا النزاع
نفستنا للحج أجزنا منا للقيا النور
فإن أسعفنا الحال ، ونلنا ما تمنينا

فذلك حظنا الموفور ..
طاب البحر والرحلة والمرفأ
وكان البيرق المنشور ...
رايتَنا ، لواء سفيننا .. الخرقه
وإنْ عاندنا التيار ، واستعصى على النوتيّ ..
إدراكُ الطريق ، تلمس النجم السماويّ
وأخفى وجهه الفجر ، وأرخى ستره الديجور
وضل الركب والملاح بين الموج والأنواء
ومتنا ، وانطفت أعيننا الجوفاء
وحُلم النورِ فوق زجاجها المكسور
فيكفي أنّنا مِتنا ، وكُفّنّا برايتنا
كمثل مجاهد مستشهد مقهور

الثاني : وهل تمنعنا الخرقة أن نأبه للظلم
وأن نثبُتَ للظالم
وأن ندفع كيد الشر عن أحبابنا الضعفاء ؟

أما أبصرتَ بعضَ السالكين تمسحوا بالثوب
وحين استشرفوا للزهد ، وانخلعوا عن اللذه
تشهّوا لذة أخبث من كل اللذاذاتِ
تشهوا لذة الإنكار للآلام والبشرِ
وأن يمشوا خفاف الخطو مطويين فوق النفس
وحين تحدثوا استخفَوْا ورا الخرقه

الثالث : تقول الحق ، لكنيَ أخشى إن خلعناها
بأن نصبح كالناس ، نجادل في أمورهمُ
ونركب متن دنياهمْ ، ونسترضي رؤوسهمُ
ونلغو في سياستهمْ ، وندنو من سفيههمُ
وقد تبتلُ أيدينا بوابل من شرورهمُ
وقد يُفسِد قربهمُو الذي نلنا ببعدهمُ

الأول : هنا ، توقفني الحيرة عن أن أقطع الأمرا
فماذا لو طرحنا همّنا للشيخ حين يجيء

وهذا وقت أوبته من المسجد

« ينتحون جانباً »

« صوت الحلاج من أقصى المسرح »

الحلاج : إليّ إليّ يا غرباء .. يا فقراء .. يا مرضى
كسيري القلب والأعضاء ، قد أنزلت مائدتي
إليّ إليّ
لنطعم كسرة من خبز مولانا وسيدنا
إليّ إليّ ، أهديكم إلى ربي
وما يرضى به ربي

« يتجمع الناس ويدخل ثلاثة آخرون ، يبدو عليهم التربص ، ملابسهم موحدة ، ويبدو أنهم من الشرطة ، يعرف ذلك من عيونهم وتهامسهم وقربهم من بعضهم البعض».

التاجر : من هذا الشيخ الصارخ

الفلاح : يهدينا – فيما يزعم – الله
شيخ مجذوب، كم نلقى من أمثاله
في سوق الشحاذين

التاجر : هيا نذهب
فلقد خلّفت ابني في دكاني
وهو ضعيف العقل
إن جاءته جارية حسناء
أعطاها ما قيمته خمس قطع
بثلاث أو أربع

الفلاح : وأنا قد بعت الحنطة في السوق اليوم
وأريد العودة لعيالي في ظاهر بغداد
بالمال سليماً قبل الليل
لو أبطأت لقادتني رجلاي
للخمارة حيث أذيب نقودي

في كأس أو أدفنها في تكة سروال

الواعظ : جازاك الله ، فما قلته

قد ألهَمَني عظة الأسبوع القادم

ما أحلاها من موعظة مسبوكه

عن فلاح باع الحنطة في السوق

أغواه الشيطان

فزنا بالمال ، وعاد ليلقى الصبية جوعى

فبكى ... و ... و...

وسيلهمني الله الباقي

وسأجعل عبرتها ونهايتها

إحذر كيد النسوان

« يخرجون »

« صوت الحلاج يرتفع ؛ وخطواته تتقدم ، والجمع يتحلق حوله » .

أراد الله أن تُجلى محاسنه ، وتستَعلِنَ أنواره

فأبدع من أثير القدرة العليا مثالاً ، صاغه طينا
وألقى بين جنبيه ببعض الفيض من ذاته
وجلّاهُ ، وزيّنَه ، فكان صَنيعهُ الإنسان
فنحن له كمرآة ، يطالع فوق صفحتها
جمالَ الذات مجلوّاً ، ويشهد حسنه فينا
فإن تصفُ قلوب الناس ، تأنسْ نظرة الرحمن
إلى مرآتنا ، ويديم نظرته ، فتحيينا
وإن تكْدر قلوب الناس يصرفْ وجهَه عنا
ويهجرنا ، ويجفونا ..
وماذا يفعل الإنسان إن جافاه مولاه ؟
يضيق الكون في عينيه ، يفقد أُلفَةَ الأشياء
تصير الشمس في عينيه أذرعة من النيران تلقي
ثقلها المشّاء
على وجه السما والأرض ألواناً من اللهب
ويضحي البدر دائرة مهشمة رماديه
من القصدير ميتةً وملقاة على بيداء

٥ • •

فقد جفـّت عيون الناس ، أضحت نقطة سوداء
وتذوى أذرع الأشجار ، تلقي حملهـا للأرض
وتدفنه كمجهضة تكفن عارها في الطين
ويمشي القحط في الأسواق ، يجبي جزية الأنفاس
من الأطفال والمرضى
حقيبته بلا قاع ، فلا تملأ إذْ ُتعطى
ورغبته بلا ريٍّ ، فلا تسكـُت أنْ تسأل
وخلف القحط يمشي تحت ظل البيرق المرسل
جنود القحط ، جيش الشر والنقمه
خلائقهم مشوهه ، كأن الذيل فوق الراس
يقود خطاهمو إبليس، وهو وزير ُملْكِ القحط
وليس القتل والتدجيل والسرقُ
وليس خيانة الأصحاب والملقُ
وليس البطش والعدوان والخرقُ
سوى بعض رعايا القحط ، جندِ وزيره إبليس
تعالى الله ، قد يأنفُ أن ينظر في مرآتنا ذاتـَه

فيصرفَ وجهه عنا
فكيف إذنْ نصفّي قلبنا المعتم ؟
ليستقبل وجه الله ، يستجلي جمالاتِه
نصلي .. نقرأ القرآن ...
نقصد بيته ، ونصوم في رمضان
نعم ، لكنّ هذي أول الخطوات نحو الله
خطى تصنعها الأبدان
وربي قصده للقلب
ولا يرضى بغير الحب
تأمل : إن عشقت ألست تبغي أن تكون شبيه محبوبك

فهذا حبنا لله
أليس الله نور الكون
فكن نوراً كمثل الله
ليستجلي على مرآتنا حسنه ...

شروطي: « مقاطعاً »

ولكنْ شيخنا الطيب ، هل ربي له عينان
لكي ينظر في المرآه ؟

الحلاج : ولكنْ ولدي الطيب ، هل ُقفلٌ على قلبك ،
حتى ينطق القرآن
« أم على قلوب أقفالها » ؟

شرطي آخر : أجدت الرد ، كيف إذن تظن الله
بلا نعت ولا تشبيه ؟

الحلاج : أظن الله ، كيف ، ونوره المصباح
وظني كوّة المشكاه
وكوني بضعة منه تعود إليه

الشرطي: أتعني أن هذا الهيكل المهدوم بعض منه
وأن الله جل جلاله متفرق في الناس ؟

الحلاج : بلى ، فالهيكل المهدوم بعض منه إن طهرت
جوارحه

وجل جلاله متفرق في الخلق أنواراً بلا تفريق
ولا يُنقص هذا الفيضُ أدنى اللمح من نوره ..

شرطي ثالث : فأنت إذن إله مثله ما دمت بعضاً منه ؟

الحلاج : رعاك الله يا ولدي ، لماذا تستثير شجاي
وتجعلني أبوح بسر ما أعطى
ألا تعلمُ أن العشق سر بين محبوبين
هو النجوى التي إن أعلنت سقطت مروءتنا
لأنّـا حينما جاد لنا المحبوب بالوصل تنعّمنا
دخلنا الستر ، أطعمنا وأشربنا
وراقصنا وأرقصنا ، وغُنّينا وغَنّيْنا
وكوشفنا ، وكاشفنا ، وعوهدنا وعاهدْنا
فلما أقبل الصبح تفرقنا ،
تعاهدنا ، بأن أكتم حق أنطوي في القبر ..

الشرطي: كفى ، يا شيخ ، هذا القول عين الكفر ...

الحلاج : عين الكفر .. ويلُكَ .. هذا القول لي، فاسمع
وإن كنت سألقى الهول لو كشّفتُ وجه السر..
أجل لا ، بل ويلقي ، جُرْجرتُ من زهوي
إلى حتفي
ولكنْ .. كيف .. هل أترك هذا اللفظ
ملقى فوق أثوابي ؟
إذن ، فاسمع ، وقل في الأمر ما ترضاه
لقد أحببتُ من أنصفْ
فأعطاني كما أعطيت

الشرطي: يا أهل الإسلام .. هذا شيخ زنديق

شرطي ثاني : فلنأخذه للسجن ...

شرطي ثالث: هيا .. يا كافر

أحدالصوفية: لا .. يا قوم
هذا سكر الصوفية

فاض القلب فعربد

غلب الوجد القصد

الشرطي: هذا لغو أجوف

فلنحم الدين من الكفره

صوفي : « للمتجمهين »

يا قوم

هذا الشرطي استدرجه كي يكشف عن حاله

لكن هل أخذوه من أجل حديث الحب ؟

لا ، بل من أجل حديث القحط

أخذوه من أجلكمو أنتم

من أجل الفقراء المرضى ، جزية جيش القحط

الأعرج : هذا حق

فالشرطة خدام السلطان

ما للشرطة والحب

فلنطلقه من أيديهم

« ضجة وتلويح بالأيدي توشك أن تصبح مقتلة »

الحلاج : لا ، يا أصحابي

لا تلقوا بالاً لي

أستودعكم كلماتي

عودوا .. عودوا ..

ودعوني حتى تنفذ في بدني

لتؤدبني

ألفاظُ عتاب المحبوب الناريه

الأبرص: « لأحد الصوفية »

ماذا قال ..؟

الصوفي : ما زال بمجال الوجد ..

يتحدث من قلبه

الشرطي : يا قوم ..
الشيخ أقرّ بجرمه
فدعوه يمضي ليؤدب
يا شيخ...
هل أقررت بجرمك ؟

الحلاج : هذا حق يا ولدي ...
فلقد أجرمتُ بحقّه
إذْ أفشيتُ السر

الشرطي: أسمعتم ..!

الحلاج : عاقبني يا محبوبي إني بحتُ وخنتُ العهد
لا تغفر لي ، فلقد ضاقَ القلبُ عن الوجد
لكنْ عاقبني كعقاب الخصم خصيمه
لا كعقاب المحبوب حبيبه
لا تهجرني ، لا تصرِفْ عني وجهك

لا تقتل روحي بدلالك
إجمل بدني الناحلَ أو جلدي المتغضن
أدواتِ عقابك

« يتقدم الحلاج أمام الشرطة كأنه يقودهم ، والجمع يتبعه، وحين يشارف نهاية المسرح يرتفع صوت أحد الصوفية »

الصوفي: هل نتركه للشرطة ؟

صوفي آخر: هذا ما أوصانا به

« يخرج الصوفية وهم يرددون : هذا ما أوصانا به »

الأبرص: ماذا نفعل ..؟

الأحدب: ما رأيك أنت ..؟

الأعرج : هل نتبعهم لنرى ما يحدث ؟

« يخرجون وهم يرددن : **لنرى ما يحدث** »

« يدخـــل الواعظ مسرعاً من أقصى المسرح ، فيدرك الأعرج ، وهو يتبع زميليه »

« للأعرج ، وهو يشد قميصــــه » يا هذا ..

ماذا كان هنا منذ هنيهه ؟

فلقد جلبتني أصداء الضجه

الأعرج : أخذته الشرطه ...

من ..؟

الأعرج : الرجل الطيب

ولماذا ..؟

الأعرج : قد كان يحدثنا بحديث القلب

لم يستطع الكتمان ، فباح

دعني أمضي

« يشد قميصه ، وينطلق »

الواعظ: « وحده على المسرح » باح ...

بم باح ، لكي تأخذه الشرطه ؟

لا أدري ، وعلى كلٍّ ، فالأيام غريبه
والعاقل من يتحرز في كلماته
لا يَعرِضُ بالسوء
لنظام أو شخص أو وضع أو قانون أو قاض
أو وال أو محتسب أو حاكم

(ستار)

الجزء الثاني

« الموت »

المنظر الأول

« سجن مظلم ينفتح بابه، ليدخل منه الحلاج يدفعه حارس»

الحارس: ادخل يا أعدى أعداء الله !

الحلاج : ليسامحك الله ، فقد أعطيت الحلّاج المسكين
أعلى من قدره

الحارس: ادخل ، لا تكثر في القول
ولتجلس بين رفيقيك

« يدخل الحلاج ، فلا يكاد يبصر شيئاً في الظلمة القاتمة »

الحلاج : يا صاحبَ هذا البيت

هب ضيفك نوراً حتى يكشف موضع قدميه

أو كحّل بسنا ذاتك عينيه

يا صاحب هذا البيت

السجين الأول:« هامساً لرفيقه» هذا رجل مأفون

يتوهم أنّا جئنا في مأدبة أو حفل

الحلاج : نوراً يا صاحب هذا البيت ...

السجين الثاني: أطلب من حارسنا الطيب مصباحاً

أو شمعه

السجين الأول: «لرفيقه هامساً» لا يدري أنّا في قاع السجن

السجين الثاني: لسنا في قصر الوالي

السجين الأول: أو بيت القاضي

السجين الثاني: أو في خمّارةِ شط الكرخ

الحلاج : يا صاحب هذا البيت
قد أبطأ عن عيني نورك
إن كنت ترى أن أستهدي بالظن
فقـُد خطواتي

السجين الأول: فليرجو حارسنا الطيب
أن يمسك كفيه بجنان
ويقود خطاه حتى يلقيه
في ظل الحائط

السجين الثاني: لكن كفـّا حارسنا الطيب مغرمتان
بمداعبة الأضـلاع وتجميش السيقان

السجين الأول: « بلهجة حزينة مشوبة بالبالغة المسرفة »
أسفاً للمسكين

آهٍ لو أدرِكه الحارس بالنور ..!

السجين الثاني: « بسخرية »

لا تزعج بالك حتى لا يتمزق قلبك
من يدري ، هل هو مسكين مثلي أو مثلك
سجنوه إذ هو أضعف من أن يفلت من
عسف القانون

أم شرير ، قد سلطت الأيام عليه شريراً
أكبر منه

شرطي خان الناس وجمّعَ أموالاً خبلَتْ
عين رئيس الشرطه

فاستصفى ماله

ورماه في السجن

السجين الأول: أو والٍ نقّى مما أحرزه الأوباش

مكنونات وطرائفَ من نسوان ورياش
ودعا بوزير القصر فأطعمه وأنامه
فتحلب ريق وزير القصر
واستصفى ماله

السجين الثاني: ورماه في السجن

الحلاج : يا صاحب هذا البيت
شكراً ، لم يبطىء نورك
عليكما السلام ، سيّديّ

الأول : وعليك ...

« وهو يجلس في ركن قريب يتمتم ، ثم يعلو صوته »
... وباسمك اللهم كانت هجرتي ، وسارت الأقدام
بارك لنا اللهم في الدخول والمقام

السجين الثاني: « هامساً » عرفته
من ذقنه ، وتمتماته ، ولحيته
وذكره اسم الله في مفتتح الكلام

السجين الأول: ومن يكون ..؟

السجين الثاني: قصاص مسجد الرصافه
ذاك الذي – فيما رووا – قد كان
يؤاخذ الجار بذنب الجار

السجين الأول: ماذا عنيت ؟

السجين الثاني: يطعن إن حركه الغرام
أحبابه في الظهر

السجين الأول: « ضاحكاً » آه ، تعني ابن بقَـيِن .. لا .. لا ..
بل إنّـي أعرف من تعنيه
لا يشبه هذا الشيخ

السجين الثاني: هل تعرفُه معرفة طيبة حقاً ؟

يا ويلي ، كيف ترى أغفو جنبك
فلتعلم أني مُهر لم يَرْكب أو يُركب
لا بأس بأن أركب
لكني لا أركب

« يتحرك نحو صاحبه »

السجين الأول: صه

لا تهزِر في هذا أو أهشِمَ رأسك

السجين الثاني: رأسي .. ! من أنت لتهشِمَ رأسي ؟

الأول : لا تعرفني حتى الآن
هه .. خذ كي تعرفني

« يعاجله بضربة ، فيمسك الثاني بقدمه ويلويها بين يديه »

الأول : أطلق قدمي .. ستكسّرها .. سأنادي الحارس

الثاني : لا .. حتى تجعلني أركب

الأول : أطلق قدمي.. يا حارس..هذا وحش مجنون

الحلاج : « يتقدم منه ويرجوه »

يا ولدي أرجوك

أطلق قدمه

الثاني : من أجلك يا مولانا القا . . .

قل لي . . . قاضٍ أنت ؟

الحلاج : قاض .. لا يا ولدي

السجين الثاني: أمعلم مسجد ؟

الحلاج : لا .. كيف أعلّم

وأنا لا أعلم

الأول : « وهو يقترب منه هامساً»

من أنت إذن ؟

الحلاج : اسمي الحلاج حسين بن المنصور

الثاني : ماذا تعمل ؟

الحلاج : أتأمل يا ولدي

الأول : شاعر ؟

الحلاج : أحيانا

الأول : هل تقرأ في كتب القدماء ؟

الحلاج : أحياناً

الأول : هل تبحث في أسرار الكون ؟

الحلاج : بل أشهدها أحياناً

الأول : مجذوب أنت ؟

الحلاج : دوماً نحو النور

الأول : هل أنت وليّ ؟

الحلاج : لا بل مولي
وولِيي ووليّك يشهد

« يتبادل السجينان النظر، ويهمان بالكلام، ثم يتوقفان، وبعد برهة ينطلقان في صوت واحد »

السجينان: ولماذا لا تسألنا من نحن ..؟
أصحابي في دار الهجره

الاول : ما معنى هذا ...
عشنا حيناً في دار الخوف
نتكتم بين الأضلاع
سرّاً نخشى أن تسرقه الأسماع
لكنّ المسك انسكب بقلب الحلاج وذاع
فخرجت إلى دار الهجره

الأول : هذا رجل طيب

يلقي لفظاً لا أدري معناه
لكني أشعر به

الثاني : هذا رجل مسلوب العقل

الأول : لا ، بل رجل طيب
وولي من أهل الله ، وإن أنكر

الثاني : أسكت يا أحمق
هذا رجل دجال مسلوب العقل

الأول : لا ، بل أنت الدجال المسلوب العقل

الثاني : أنت غبي أحمق

الأول : بل أنت عنيد كالبغل

الثاني : بل أنت حمار ينقصه برذعة ولجام
عفواً ، هذي برذعتك
وذراعاي لجامك

هيا احملني للقصر الأبيض
كي أمدح مولانا والي الشام
بمعلقة من قافية اللام
وأعود بمهر وفتاة وغلام
حا ... حا ... حا ...   « يمتطيه فوق كتفيه »

الاول : دعني .. أو ألقيك إلى الأرض
فأهشم أضلاعك

الثاني : لن تقدر ، قد أحكمت لجامك
« يلف ذراعيه بعنف حول رقبته »

الاول : دعني يا مجنون
إنك تخنقني .. إني سأموت

الثاني : فلينقص عندئذ عدّ رعية مولانا جحشاً

الاول : أنقذني يا حارس

يا حارس .. يا حارس .. يا حارس

« يعمل القفل في الباب ، ثم يدخل الحارس ، فيلزم كل منهما مكانه متضائلاً »

الحارس: من صانع هذي الضجه ؟

« للسجين الأول »

أنت !

الاول : لا ، يا مولاي الوالي
لم أنبس بنت شفه
فأنا أخشى غضبك
وأنزه هذا السمع المرهف
عن صوت السِفْلة من أمثالي

« يربت الحارس عليه ، ثم يتجه للثاني »

الحارس: هو أنت ...

الثاني : لا يا سيد
فأنا أعرف أحكام الحبس

« الحارس يضع يده على جبهته متأملاً ، ثم ينظر للحلاج ويقول »

الحارس: فهو الثالث لا بد
هذا أمر .. بالعقل
أنت الصارخ

الحلاج : لا يا ولدي
بل كنت أحدث نفسي في صوت خافت

الحارس: خافت ... يا كذاب

الحلاج : لا أكذب يا ولدي قط

الحارس : وتناقشني أيضاً يا كذاب ؟

الحلاج : لا تشتمني يا ولدي ...
فالسب خطيئه

الحارس : كذاب ... وفقيه !
خذ

« يضربه بالسوط ، والحلاج هادىء مبتسم ، يلم ثوبه »
« يزداد الشرطي عنفاً ، وتتلاحق ضرباته ، ثم يهتف بالحلاج ، وقد ضاق بهدوئه »

الحارس : لم لا تصرخ ؟

الحلاج : هل يصرخ يا ولدي جسد ميت

الحارس : اصرخ .. اجعلني أسكت عن ضربك

الحلاج : ستمل وتسكت يا ولدي

الحارس : اصرخ .. لن أسكت حتى تصرخ

الحلاج : عفواً يا ولدي ، صوتي لا يسعفني

الحارس : قلت اصرخ .. أنت تعذبني بهدوئك

الحلاج : فليغفر لي الله عذابك
أيخفف عنك صراخي .. قل لي
ماذا تبغي أن أصرخ .. فأقول ..؟

الحارس : استحلفني بالله ، بأولادي ، بتراب أبي ...
انظر لي نظرة خوف تتبع سوطي ، وهو
يحلّقُ ، ثم يرفُ ويتهاوى
اسأل لي الله بقاء، أو سعة في الرزق، رُقياً في الجاه
اصنع شيئاً يوقفني ، أرجوك .. إجعلني أتوقف
فأنا قد أنهِكت

« وهو يلهث »

أنهكت .. أنهكت .. أنهكت
ربي .. ما هذا الاعياء ؟
يا شيخ
قل لي من أنت ..
أنت الشيطان ..؟
بل أنت ملاك .. جبريل
بل أنت ولي من أهل الله
من أنت ..؟!
من أنت ..؟!!

« يتهاوى بجانبه . ويبكي على كتفيه »

أيّاً كنت اغفر لي .. اغفر لي ..

الحلاج: بل أشكرُهُ أن أنصفَ حالي في الحب
... إذ عاقبني في بدني

« الحلاج ينهض ، ويبتعد قليلاً عن الحارس »

يا رب
لو لم أُسجن ، أُضرب ، وأُعذب
كيف يقيني عندئذ أنك ترعى عهد الحب ؟
لكني الآن تيقنت يقين القلب
أنك تنظر لي ، ترعاني ..
ما زالت تستعظمني عينك
ما زلت تراني أخلص عشاقك
عينُ الله عليّ
وهداياه موصوله
وطرائف نعمته مبذوله
فهنيئاً لي
فهنيئاً لي ..

« الحارس ينسحب متثاقل الخطو من جوار الحائط ، حتى يقارب الباب ، ويلتفت للحلاج قائلاً :

الحارس : إن لم يأنفْ مني قلبك

فاذكرني في صلواتك يا شيخ

« يخرج »

« يقترب السجينان من الحلاج . يبدأ السجين الثاني الحديث »

الثاني : سامحنا يا سيد
فالسجن يكشّف أقبح ما في الإنسان

الاول : هل تلعننا في صلواتك ؟
بل أدعو ربي أن يفرج همكما

الاول : يتردد في شفتي الآن سؤال لا أدري ما أفعل به
هل تأذن لي أن ألقيه يا سيد ؟

الحلاج : لا تكتم عني يا ولدي

الاول : أخشى أن يؤذيك سماعه

الحلاج : بل يؤذيني أن تكتم ما في نفسك

الاول : « بعد تردد »

لم أنت هنا ..؟

الحلاج : مقدور يا ولدي ..

الاول : لا أعني هذا .. ساعدني .. لفظي لا يسعفني

أعني .. لم جاءوا بك ؟

الحلاج : ليتمّ المقدور ..

الثاني : « مشيراً للأول »

هذا رجل لا يحسن أن يتـكلم

يعني .. ما التـُهمه ؟

الحلاج : أني أتطلع أن أحيي الموتى

الثاني : « ساخراً »

أمسيح ثانٍ أنت !

الحلاج : لا ، لم أدرك شأو ابن العذراء

لم أُعط تصرفه في الأجساد
أو قدرته في بعث الأشلاء
فقنعت بإحياء الأرواح الموتى

الثاني : « ساخراً »

ما أهون ما تقنع به ! ..

الحلاج : لم تفهم عني يا ولدي

فلكي تحيي جسداً، حُزْ رتبة عيسى أو معجزته
أما كي تحيي الروح ، فيكفي أن تملك كلماته
نبئني .. كم أحيا عيسى أرواحاً قبل المعجزة المشهودة
آلاف الأرواح ، ولكنّ العميان الموتى
لم يقتنعوا ، فحباه الله بسر الخلق
هبة لا أطمع أن تتكرر

الثاني : وبماذا تحيي الأرواح .. ؟

الحلاج: بالكلمات

الثاني : أتراك تقول ...

صلوا ... صوموا .. خلوا الدنيا واسعَوْا
في أمر الآخرة الموعوده
وأطيعوا الحكام وإن سلبوا أعينكم يتنزّى
منها الدم
رصّوها ياقوتاً أحمر في التيجان
بشراكم ، إذ ترثون الملكوت
عفواً ، هذا لفظ من ألفاظ شبيهك ...

الحلاج: شكراً ، تعطيني أعلى من قدري
لكنْ في قولك بعض الحق

فأنا أحياناً أصرخ فيهم : خلّـوا الدنيا
الفاسدة المهترئة

ودعوا أحلامكمُ تنسج دنيا أخرى

الثاني : دنيا أخرى من صنع الأحلام ..

الحلاج: الحلم جنين الواقع
أما التيجان ..
فأنا لا أعرف صاحب تاج إلا الله
والناس سواسية عندي
من بينهمُ يختارون رؤوساً ليسوسوا الأمر
فالوالي العادل
قبس من نور الله ينوِّرُ بعضاً من أرضه
أما الوالي الظالم
فستار يحجب نور الله عن الناس

كي يُفرخ تحت عباءته الشر
هذا قولي .. يا ولدي

الثاني : أقوال طيبة ، لكن لا تصنع شيئاً
أقوال تحفر نفسي ، توقظ تذكارات شبابي
لأراني في مطلع أيامي الأولى
هل تدري يا شيخي الطيب
أني يوماً ما .. كنت أحب الكلمات
لما كنت صغيراً وبريئا
كانت لي أم طيبة ترعاني
وترى نور الكون بعيني
وتراني أحلى أترابي ، أذكى أخداني
فلقد كنت أحب الحكمه
أقضي صبحي في دور العلم
أو بين دكاكين الوراقين

وأعود لأفجأها بالألفاظ البراقة كالفخار
المدهون

الجوهر والذات
الماهية والاسطقسات
والقاتيغوريات
يوناني لا يفهم
أمي كانت تلتذ بأقوالي ، تتجرعها أذناها شهدا
يتبسّم خداها ، عيناها ، مفرقها المتغضن
ويغرد في شفتيها صوت لا أسمعه إلا في ذاك
الحين

« الله يصونك لي »
« ويمد حياتي حق أتملاك »
« أستاذاً في بيت الحكمه »
« أو قاضي شرع »
« أو والي ربع »
« أو شيخاً صاحب نعمه »

كانت أمي خادمة تجمع ِكسرات الخبز وفضل
الثوب
من بعض بيوت التجار
وأنا طفل لا همة لي
إلا في هذا اللغو المأفون
مرضت أمي ، قعدت ، عجزت ، ماتت
هل ماتت جوعاً ، لا ، هذا تبسيط ساذج
يلتذ به الشعراء والوعاظ الحمقى والأوغاد
حتى يخفوا بمبالغة ممقوته
وجه الصدق القاسي
أمي ما مـــاتت جوعاً ، أمي عـــاشت
جوعـــانه
ولذا مرضت صبحاً ، عجزت ظهراً ، ماتت
قبل الليل

الحلاج: .. فليرحمها الله

السجين الثاني: بل فليلعن من قتلوها ..

الحلاج : قتلوها .. ؟

السجين الثاني: من أعطوا أمي ما يكفي أن يطعمها
أو يطعمني ؟
من جعلوني آكل لحم الأم لأحيا وأشبّ ؟
قل لي .. هل تصلحهم كلماتك ؟

الحلاج : هل يصلحهم غضبك ؟

السجين الثاني: غضبي لا يبغي أن يُصلح بل أن
يَستأصل

الحلاج : من تبغي أن تستأصل ؟

السجين الثاني: الأشرار ..

الحلاج : بمَ تعرفهم ..

السجين الثاني: بتصرّفهم ..

الحلاج : يا ولدي ..

الشرّ دفين مطمور تحت الثوب
لا يعرفه إلا من يبصر ما في القلب
نحن هنا بضعة مخلوقات في ركن من
أركان الدنيا

أنت .. أنا .. هذا .. حارسنا ذو السوط
المتدلي من خاصرته

من فينا الشرير .. ومن فينا الخيّر ؟
من فينا يستأصله سيفكِ ، أو يعفيه
ويستبقيـه ؟

وهَبْ السيفَ بغير يمينك
بيميني أو بيمين الحارس
فمتى نرفعه أو نضعه ؟

السجين الاول: ولماذا لم تضعوا سيفاً في كفي ؟

الحلاج : من عندئذ تقتل .. ؟

السجين الاول: نفسي .. يا سيد ؟

السجين الثاني: « للأول »

دعنا من هذا الهذر الأجوف

« للحلاج »

اسمع لي يا شيخ
إنك رجل من أذكى من قابلت فؤادا ،
أثبتهم جارحةً عند الشده

وتحب الناس ، لأنك من أجل الناس
سُجنتَ وعُذبت

لكن ، هل تقضي عمرك مقهوراً في ظل
الجدران المربدّه ؟
كالبومة تنعب فوق خرائب أيام السوء

محزوناً ، حتى يأتي حجر طائش
ويهشّم رأسك
لِمَ لا تهرب ؟

الحلاج : لِمَ أهرب ؟

السجين الثاني: كي تحمل سيفك من أجل الناس

الحلاج : مثلي لا يحمل سيفا

السجين الثاني: هل تخشى حمل السيف ؟

الحلاج : لا أخشى حمل السيف ولكني أخشى
أن أمشي به
فالسيف إذا حملت مقبضه كف عمياء
أصبح موتاً أعمى

السجين الثاني: ولماذا لا تجعل من كلماتك نور طريقه؟

الحلاج : هب كلماتي غنت للسيف ، فوقّع ضرباتِه
أصداء مقاطعها ، أو رجْعَ فواصلها
وقوافيها .
ما بين الحرف الساكن والحرف الساكن
تهوي رأس كانت تتحرك
يتمزق قلب في روعة تشبيه
وذراع تقطع في موسيقى سَجْعَهْ
ما أشقاني ، عندئذ ، ما أشقاني
كلماتي قد قَتَلَتْ

السجين الثاني : قتلتْ باسم المظلومين ..

الحلاج : المظلومين ..
أين المظلومون ، وأين الظلمه ؟
أو لم يظلم أحد المظلومين
جاراً أو زوجاً أو طفلاً أو جارية أو عبدا ؟

أو لم يظلم أحدٌ منهم ربه ؟
من لي بالسيف المبصر ... !
من لي بالسيف المبصر ... !!

« تدمع عيناه »

السجين الاول : هل تبكي يا سيد ؟
لا تحزن ، قد ينفرج الحال

الحلاج : لا أبكي حزناً يا ولدي ، بل حَيره
من عجزي يقطر دمعي
من حيرة رأيي وضلال ظنوني
يأتي شجوي ، ينسكب أنيني
هل عاقبني ربي في روحي ويقيني ؟
إذ أخفى عني نوره
أم عن عيني حجبَتْهُ غيومُ الألفاظ المشتبهه

والأفكار المشتبهه ؟
أم هو يدعوني أن أختار لنفسي ؟
هبني اخترت لنفسي ، ماذا أختار ؟
هل أرفع صوتي ،
أم أرفع سيفي ؟
ماذا أختار .. ؟

ماذا أختار .. ؟

« يظلم المسرح تدريجياً ، حتى ينعدم ضوءه . مما يوحي بمرور الأيام ، ثم ينير تدريجياً كذلك ، لنرى نفس المشهد ، لكن لا نرى السجين الثاني . ألقت الأيام على المشهد كله مزيداً من التعاسة ، حوائطه وأرضه وحتى هوائه » .

السجين الاول: أيام تسقط في أيام

وشهور تهوي في جوف شهور
مذ أُلقينا في هذي البئر الملعونه

الحلاج : كم لك في السجن ؟

السجين الاول: أيام قبلك ..

الحلاج : فلنصبر ، يا ولدي

السجين الأول : لا أدري لمَ يُضنيني السجن الآن ؟
أَلِأني أعلم أن السجان
أولى مني بمكاني
لِمَ لَمْ تتركيني حين دعاني ثالثنا
أن أصحبَهُ في هربه ؟

الحلاج : لكني لم أمنعك
بل لم أعرف

السجين الاول : لكنك كنت تحس

ولهذا كنت كثيراً ما تأنس بي
وتقربني ، في أول ساعات الليل .
وتحدثني وتحدثني حتى قيّدْتَ خطاي
ولهذا قلت لنفسي ، حين دعاني أن أهرب

« ماذا يجدي روحي أن تخرج من سجن ضيق
كي تلزم سجناً أهون ضيقا ... ؟ »
ولنفسي قلت :
« ماذا قد أفعل في كون قد أنكرني
لم يصبح في وسعي أن أجد مكاناً فيه
إلا أن أنكر روحي، أقتل هذا الشيء الغامض
النابت في قلبي من كلماتك ؟ »
ولنفسي قلت :
« ماذا يرجو إنسان أكثر من أن يسعد ؟
وأنا قد كنت سعيداً في ظلك ... »
يا خيبة سعيي
يا خيبه سعيي ...

أحببتك حتى قيدني حبك
في هذا الفخ كأني فأرٌ مقعد
ليسامحك الله !
بكلامك ضيعت حياتي ...
بكلامك ضيعت حياتي ...

الحلاج : يا رب
ألهمني أن أختار
ألهمني أن أختار

« في هذه اللحظة ، يدخل كبير شرطة السجن ، وبصحبته حارسان »

كبير الشرطة: أيكما الحلاج ؟
الحلاج : أنا يا سيد ..
كبير الشرطة: اليوم يحاكمك قضاة الدوله
فلتمض أمامي ..

الحلاج : هذا أحلى ما أعطاني ربي ..

الله اختار ..

الله اختار ..

(ستار)

المنظر الثاني

« محكمة كبير القضاة ببغداد . قضاتهـــا الثلاثة أبو عمر الحمادي ، أنيق بدين ، وابن سليمان ، قصير حفي في حديثه هـــادىء الصوت ، وابن سريج ، نحيل حسن السمت ، ثم الحاجب »

ابو عمر : بسم الله الهادي للحق
وعليه توكلنا
ندعوه أن يهدينا للعدل
ويوفقنا أن ننهض بأمانتنا

يا حاجب ..
لِمَ لمْ يأتوا بالرجل المفسد حتى الآن ؟

الحاجب: الشرطة يأتون به من باب خراسان
وهمُ يلتمسون الطرق الخالية من العامه
حتى يتوقّـوا أهل الفتنه ..

ابو عمر: الفتنه ..!
ألآنّ عدوٌ الله والسلطان يؤدب
يتجمع أوباش الناس على الطرقات ؟
حقاً ! ما أصغر أحلام العامه

الحاجب: رجل كان سجيناً معه في باب خراسان
قد جمّعهم منذ صباح اليوم

ابو عمر: إهمال من والي الشرطه
لِمَ لمْ يطلق فيهم أعوانه

الحاجب: هذا ما يفعله الآن

ابو عمر: كم يبلغ عدّ العامه ..؟

الحاجب: مائة أو مائتان

ابو عمر: لا .. لا .. لا خوف
لا قبل لهم بمواجهة الشرطه
انظر ، هل جاءوا بالرجل المفسد ؟

الحاجب: سمعاً يا مولاي

« يخرج »

ابن سريج: « في صوت خفيض »
أأبا عمر ، قل لي ، ناشدت ضميرك
أفلا يعني وصفك للحلاج ..
بالمفسد ، وعدو الله

قبل النظر المتروّي في مسألته
أن قد صدر الحكم ..
ولا جدوى عندئذ أن يعقد مجلسنا ؟

ابو عمر: هل تسخر يا بن سريج؟
هذا رجل دفع السلطان به في أيدينا
موسوماً بالعصيان
وعلينا أن نتخير للمعصية جزاء عدلا
فإذا كانت تستوجب تعذيره ..

ابن سليمان: عذّرناه

ابو عمر: وإذا كانت تستوجب تخليده
في محبِس باب خراسان

ابن سليمان: خلّدناه

ابو عمر: وإذا كانت تستوجب أن يهلِك

ابن سليمان: أهلكناه

ابو عمر: لا ، ليس بأيدينا ، إذ نحن قضاة ، لا جلادون
ما نصنعه أن نجدل مشنقة من أحكام الشرع
والسياف يشدُّ الحبل

ابن سليمان. هذا تعبير رائع
لكن لا يُستغربُ أن يصدر عن سيدنا الحمادي

ابو عمر: عفواً ، عفواً ، يا بن سليمان
إطراؤك يخجلني ، ويذكرني
أن الله يوفقني
دوماً للتعبير الرائع
أحكي لك قصه ..
بالأمس لقيت صديقي القاضي الهروي
وهو كما تعلم

رجل مغرور بقريحته وذكائه
فسألته :
« ما أجدى ما يطمن من طَمِنَ عن الطـّمْنْ
فاحتار ، ولم يفهم
فأعدت القول ، لكي لا تبقى للقاضي حجّه
« ما أجدى ما يطمن من طمن عن الطمن »
فتلبّد وتحمحم
كحصان ابن زبيبة عنتر ..
« فازورّ من وقع القنا بلبانه
وشكى إلي بعبرة وتحمحم »

إني أروي آلاف الآلاف من الأبيات
لولا حفظي ماء الوجه لقلت الشعر
وسبقت أبا تمامٍ وابن الرومي في صيد التبر
لكني رجل لا يغريني المال ، كما تعلم
لنعد لحكايتنا ...
لم يعرف قاضينا المغرور بعقله

معنى تعبيري الرائع
فحككت له أنفي ثم مضيت

ابن سليمان: يبقيك الله ، فقد كشّفت غباءه
لكن ، قل لي
فتح الله عليك
ما معنى هذا القول ؟

أبو عمر: هل تدرك معناه يا بن سريج

ابن سريج: يا مولانا
جئنا في مجلس حكم لا في مجلس ألغاز
وأنا رجل محدود يقصر عقلي
عن أن يتسع لتعبيراتك

أبو عمر: ردٌّ لبق ، والله
لكن لا يعفيك من الرد

ابن سليمان : ردّ لا يعفيه من الرد

هذا أيضاً تعبير رائع

ابن سريج: يا مولانا

أنشدك الله

حتى لا تزدحم القاعة بالتعبيرات الملتويه

فتضل بها خطوات المدل

فسر لابن سليمان معنى تعبيرك

أبو عمر : خذ يا بن سليمان

الطعن الاولى معناها طعن الأضراس

تتتك ... تتتك ... تتتك

أما طعن الثانية فمعناها أوغل في العمر

إه .. إه .. إه

أما الطعن الثالثة فمعناها طعن الأفخاذ

شكشك ، شكشك ، شكشك

والآن اسمع وتأمل ..

ما أجدى الطعن لمن طعن عن الطعن

أي ..

ما أجدى الأكلُ لمن عَجَزَ عن ...

الحاجب: يا مولانا القاضي

قتلوا المسجون الهارب

لكن العامة ما زالت تتجمع في الطرقات

ابو عمر: نقصوا أم زادوا ؟

الحاجب: نصفهمو قد فرّ أمام الشرطه

ابو عمر: هذا ما كنت أظن

لا .. لا .. لا خوف

« ينسحب الحاجب ، ويلتفت لابن سليمان »

ما رأيك يا بن سليمان في هذا اللغز ؟

ابن سليمان: ما أمتع أسمارك يا مولانا

ليس غريباً أن يؤثرك الخلفاء أنيساً

ويقربك الوزراء جليساً

ويكون لك الرأي المسموع

ابو عمر: بل عِلمي يبهرهم يا بن سليمان

صوت الحاجب: « من باب القاعة »

مولانا بكر بن الأوسي والي الشرطه

وبصحبته الحلاج حسين بن المنصور

« يدخل والي الشرطة ، ومعه الحلاج ، ويحيي الوالي القضاة بالسلام ، فيردونه ، ثم ينصرف ويترك الحلاج ماثلاً أمام القضاة »

ابو عمر: يا حلاج .. أتدري لم جئت هنا ؟

الحلاج : ليتمَّ الله مشيئته يا سيد

ابو عمر: هذا حق ..
والله تبارك وتعالى
قد ثبت في كف خليفتنا الصالح – أبقاه الله –
ميزانَ العدل وسيفه

الحلاج : لا يجتمعان بكف واحدة يا سيد

ابو عمر: هذا ضرب من فتّان القول
لا يدركه أمثالك من أهل الفتنه

ابن سليمان: حلْو .. حلو ..
لم يَفْتنّي قولُكَ يا سيد

ابو عمر: سيروعك قولي فيما بعد
فاسمع وارتع

مولانا لا يدفع عبداً ممن وُلّي فيهم للسيّاف
إلا إن أحصى ما فرط من أمره
في ميزان الإنصاف

مولانا يدري من زمن أنك تبغي في الأرض
فسادا

تلقي بذر الفتنه
في أفئدة العامه
وعقول الدهماء
آناً تتستر خلف الذقن الشهباء
أو أثواب المجذوبين الفقراء
والأقوال الغامضة المشتبهات القصد
إذ تسبكها وتقفّيها كهذاء الشعراء
قل لي .. ماذا تبغي بهذائك ؟
هل تبغي أن يضع المسلم ..
في عنق المسلم سيف الحقد ؟

الحلاج : لا .. يا سيد
بل أبغي لو مدّ المسلم للمسلم
كف الرحمة والود

ابو عمر : ولهذا تعرضُ للحكام
من أهل الرأي وأصحاب النعمه
ماذا تبغي ؟
أن يختل الناموس ويصبح أمر العامه
أعلى من أمر الخاصه
أن يحكم فينا الحمقى والجهله
أنْ يُعطى الأمرُ لمن ليس بأهلِ له

ابن سليمان: فتقومَ الساعه ..

ابو عمر : يا حلاج ..
الجرمُ الثابت لا ينفيه أن تتباله وتتمتم

ابن سريج : يا مولانا، هلّا أعطيت الرجل المهلة أن يتكلم
فلقد حققت وأحكمت التهمة ، ثم أدنت

أبو عمر : ما حاجتنا أن نسمع في هذا المجلس
فيضاً من لغو القول المبهم ؟
فليعلُ حديث العدل إذا خرس الجرم
قال الله تعالى :
« إنما جزاء الذين يفسدون في الأرض .. »

ابن سليمان : أأبا عمرٍ .. حقاً ما قلت
لكنّي أرجو أن نبعث برسول للقصر
نستفتيه في أمر الحكم
هل تخشى أن تحمل دم هذا المفسد ؟

ابن سليمان : لا أخشى أن يلزم دمه عنقي باسم الشرع
لكني لا أرضى أن يلزَمَني باسم السلطه

فأنا لم أشهده يبغي إفساداً في الأرض

أبو عمر: الشرطة قد شهدته

ابن سليمان: لكني لم أتحقق من قول الشرطه ..

أبو عمر: يا ابن سليمان
لسنا أهل التحقيق ..
بل أهل الفتوى ، أعلم هذا الجيل بأحكام الشرع
فالشرطة والوالي والسلطان يسوسون أمور الأمه
ويَميزونَ الجاني ، ويقيسون الجرم بإمعانٍ وتثبُّت
فإذا صح الجرم لديهم ، وقفوا الجاني بين يدينا

لنرى فيه الرأي الشرعي الصائب

ابن سليمان : يا مولانا

رأيي من رأيك ...
لكنك قد وضحته
ببيان مثلي لا يُدرك حسنه
فلتسمح لي أن أعرض رأيي
بعباراتي الجرداء من الفطنه
إني قد أسأل نفسي الآن
من نحن ، وما علة هذا الجمع ؟
نحن رجال العلم ، وأهل الشرع
والوالي يستفتينا في أمر ..
وعلينا إتقان الفتوى
أنا لا يعنيني ما اسم المتهم الماثل بين يدينا
والحلاج لدينا ، حالٌ ، لا شخصٌ ماثل
وكأن الوالي يسألنا

ما حكمُ الشرع العادل
في من يبغي في الأرض فساداً ، يبذر فيها
بذر الفتنه
وهنا نتملّى في الأحكام ، وننثرها ،
نتخير منها ،

ونقول :
للوالي ، لا للحلاج
هذا حكم الشرع
في من يبغي في الأرض فساداً ، يبذر فيها
بذر الفتنه
أن تقطع أرجله ، أيديه ، ويصلب في جذع
الشجره

ويفضُ المجلس
هل فتوانا ملزمة للوالي ؟
لا .. فله أن يُنفِذَها
أو أن يسترجع أمره

ومنـــا لا نحمل وزر دم مسفوك في ظلم
أو عدل

ابن سريج : لا ، لا ، يا بن سليمان

ما تنسجه من محبوك القول

أحبولة شيطان

إنْ الكلماتِ إذا رَفَعت سيفاً ، فهي السيف

والقاضي لا يفتي ، بل ينصب ميزان العدل

لا يحكم في أشباح ، بل في أرواح أغلاها الله

إلا أن تزهق في حق ، أو في إنصاف

الوالي والقاضي رمزان جليلان

للقدرة والحق

لا تدنو من مرماها أفراس القدره

لا تبلغ غايتها

إلّا إنْ أمسك فرسان الحق

بزمام أعنّتها

فإذا شئتم أن ينقلب الحال
أن تلقوا فرسان الحق
صرعى تحت حوافر أفراس القدره
فأنا أستعفي من مجلسكم

أبو عمر : يا بن سريج
هذا مجلس حكم مخصوص
وله تقدير مخصوص
ينظر في أمر مخصوص
وكما قال القائل ...

ابن سريج: « مقاطعاً »
مخصوص ... مخصوص ... مخصوص
هل خصوا هذا المجلس بالظلم .. ؟
قل لي في لفظ واضح ..

هل نحن قضاة باسم الله
أم باسم السلطان ؟

أبو عمر : بل قل أنت
أو تنكرُ أن السلطان خليفة رب الأكوانِ
على الأكوان ؟

ابن سريج: هذا السلطانُ العادل ...

أبو عمر : أو تبغي أن تدفع عن مولانا صفة العدل ؟

ابن سريج: بل أرجو أن أثبتها له
ليس العدل تراثاً يتلقاه الأحياء عن الموتى
أو شارة حكم تلحق باسم السلطان إذا
ولي الأمر
كعمامته أو سيفه
مات الملك العادل

عاش الملك العادل

العدل مواقف

العدل سؤال أبدي يُطرح كل هنيهه

فإذا أُلهمتَ الردّ ، تشكل في كلمات أخرى

وتولـّد عنه سؤال آخر ، يبغي ردا

العدل حوار لا يتوقف

بين السلطان وسلطانه

أبو عمر : العدل .. العدل .. العدل ..

ماذا تبغي حق يجري العدل؟

ابن سريج: أن نسمع صوت المتهم الماثل بين يدينا

ونسائل أنفسنا وضمائرنا

أبو عمر : هه ...

هو لا يبغي أن يتكلم
وعلى كل ما زالت جلستنا ممدوده
فليُسمعنا شيئاً من لغوه
يا هذا الشيخ المنفوش اللحيه
بم تدفعُ عن نفسك .. ؟

الحلاج : لستم بقضاتي ،
ولذا لن أدفع عن نفسي

ابن سريج: « للحلاج »
يا حلاج ...
لا تدفع عن نفسك
بل حدثنا عمّا فيها
إن كان هو الحق ، عرفناه معك
وإذا كان الباطل

نبّهناك إليه
وأخذناك بجرمه ..

الحلاج: أوَعَدتم إن كان الحق ...
أن تمضوا فيه معي ؟

أبوعمر: نمضي فيه معك .. ؟
إما أنك رجل ساذج
أو أنك أذكى مما نتصور
ولهذا أفسدت صعاليك العامه
وعلى كلٍ ، لا ضير
قد نصبح من أتباعك « ساخراً »
من أنت ، وما خطبك ... ؟

الحلاج: أنا رجل من غمار الموالي ، فقير الأرومة والمنبت

فلا حسبي ينتمي للسماء ، ولا رفعتني لها
ثروتي
ولدت كآلاف من يولدون ، بآلاف أيام هذا
الوجود
لأن فقيراً – بذات مساء – سعى نحو حضن
فقيره
وأطفأ فيه مرارة أيامه القاسيه
نَمُوتُ كآلاف من يكبرون ، حين يقتاتون
خبز الشموس ..
ويُسْقَوْنَ ماء المطر
وتلقاهُمُ صبيةٌ يافعين حزانى على الطرقات
الحزينه
فتعجب كيف نموا واستطالوا ، وشبَّتْ خطاهُم ..
وهذي الحياة ضنينه
تسكعت في طرقات الحياة، دخلت سراديبها
الموحشات

حجبت بكفي لهيب الظهيرة في الفلوات
وأشعلت عيني ، دليلي ، أنيسي في الظلمات
وذوبت عقلي، وزيتَ المصابيح، شمس النهار
على صفحات الكتب

لهثتُ وراء العلوم سنين ، ككلب يشم
روائح صيد
فيتبعها ، ثم يحتال حتى ينال سبيلاً إليها ،
فيركض ، ينقـّضْ

فلم يُسعد العلم قلبي ، بل زادني حيرة واجفه
بكيت لها وارتجفت
وأحسست أني وحيد ضئيل كقطرة طلّ
كحبة رمل
ومنكسر تعس ، خائف مرتعد
فعلمي ما قادني قط للمعرفه
وهبني عرفت تضاريس هذا الوجود ..
مدائنه ، وقراه

ووديانه ، وذراه
وتاريخ أملاكه الأقدمين
وآثار أملاكه المحدثين
فكيف بعرفان سر الوجود ، ومقصده ، مبتدا أمره،
منتهاه
لكي يرفع الخوف عني ، خوفُ المنون ، وخوفُ
الحياة ، وخوفُ القدر

لكي أطمئن
سألت الشيوخ ، فقيل
تقرب إلى الله ، صلّ ليرفع عنك الضلال .. صلّ
لتسعد

وكنت نسيت الصلاة ، فصليت لله رب المنون ،
ورب الحياة ، ورب القدر
وكان هواء المخافة يصفر في أعظمي ويئز كريح
الفلا ..

وأنا ساجد راكع أتعبد

فأدركت أنني أعبد خوفي ، لا الله ..
كنت به مشركاً لا موحّد
وكان إلهي خوفي
وصليت أطمع في جنته
ليختال في مقلتيّ خيال القصور ذوات القباب
وأسمع وسوسة الحلى ، همس حرير الثياب
وأحسست أني أبيع صلاتي إلى الله ..
فلو أتقنت صنعة الصلوات لزاد الثمن
وكنت به مشركاً ، لا موحد
وكان إلهي الطمع
وحيّر قلبي سؤال :
ترى قُدّر الشرك للكائنات
وإلا ، فكيف أصلي له وحده
وأخلي فؤادي مما عداه
لكي أنزع الخوف عن خاطري
لكي أطمئن ..

كما يلتقي الشوق شوق الصحارى العطـــاش بشوق السحاب السخي

كذلك كان لقائي بشيخي
أبي العاص عمرو بن أحمد ، قدّس تربته ربُّه
وجمّعَنَا الحب ، كنت أحب السؤال ، وكان يحب النوال

ويعطي ، فيبتل صخر الفؤاد
ويعطي ، فتَندى العروق ويلمع فيها اليقين
ويعطي ، فيخضرُّ غصني
ويعطي ، فيزهر نطقي وظني
ويخلع عني ثيابي ، ويلبسني خرقة العارفين
يقول هو الحب ، سر النجاة ، تعشّقْ تفُزْ
وتفنى بذات حبيبك ، تصبح أنت المصلى ، وأنت الصلاه

وأنت الديانة والرب والمسجدُ

تعشّقتُ حتى عشِقت ، تخيلت حتى رأيت
رأيت حبيبي ، وأتحفني بكمال الجمال ، جمال
الكمال

فأتحفته بكمال المحبه
وأفنيت نفسيَ فيه

ابو عمر : صمتاً .. هذا كفر بيّن !

ابن سريج: بل هذا حال من أحوال الصوفيه
لا يدخل في تقدير محاكمنا
أمرٌ بين العبد وربه
لا يقضي فيه إلا الله
لنسائله عن تهمة تحريض العامه
فلهذا أوقفه السلطان هنا
هل أفسدت العامة ، يا حلاج ؟

الحلاج : لا يفسد أمر العامة إلا السلطان الفاسد
يستعبدهم ويجوّعهم

ابن سليمان: يعني ، هل كنت تحض على عصيان الحكام ؟

الحلاج : بل كنت أحض على طاعة رب الحكام
برأ الله الدنيا إحكاماً ونظاما
فلماذا اضطربت ، واختل الإحكام؟
خلق الإنسان على صورته في أحسن تقويم
فلماذا رُدّ إلى درك الأنعام ؟

ابو عمر : ماذا يعني هذا الشيخ ؟
هل هذا أيضاً من أحوال الصوفيه ؟
أم يستخفي خلف الألفاظ المشتبهه
كي يخفي وجه جريمته الشنعاء ؟
إني أسألك سؤالاً محدوداً

لتجيب جواباً محدوداً
هل تزعم أنك صوفي ..؟

الحلاج : الله يُصَنـّفُني حيثُ يشاء

أبو عمر : هل تزعم أنك فارقت الدنيا وشواغلها ؟..

الحلاج : ها أنا ذا في الدنيا يا سيد
أشغل نفسي بالرد على أسئلتك

أبو عمر : هل أرسلت رسائل لأبي بكر المادرائي وسواه
تدعوهم فيها أن ينتقضوا، ويهبّوا ضد الدوله؟

الحلاج : الدوله ..!
لا أشغل نفسي بالدوله
بل أشغلها بقلوب أحبائي

أبو عمر : تنكر ..؟
يا حاجب ...

قل للشرطة يأتوا بالماذرائي

الحاجب : هرب الماذرائي من بغداد يا مولاي
وكذلك حَمْدُ الطولوني والقنّائي

أبو عمر : منذ متى ..؟

الحاجب : من يومين
مذ أنبأهم جاسوسٌ بالقصر
عن قرب محاكمة الحلاج

أبو عمر : كيف عرفت ..؟

الحاجب : أنبتني الشرطة يا مولاي

أبو عمر : « للحلاج »
أحسبك الآن ستمضي في إنكارك
لكني من نطقك سأدينك
هل أرسلت رسائل ؟

الحلاج : قطعٌ من قلبي أهديها لقلوب أحبائي ...

أبو عمر : ماذا فيها ؟

الحلاج : تذكيرٌ لهم أن الإنسان شقي في مملكة الله
لم يبرأنا الباري ليعذبنا ، ويُصَغّرَنا في عينيه
بل ليرانا ننمو ، وتلامس جبهتنا وجه الشمس
أو نمرح تحت عباءتها كالحِملان المرحه

أبو عمر : لمَ أرسلت إليهم برسائلك المسمومه ؟

الحلاج : هذا ما جال بفكري
عاينت الفقر يعربد في الطرقات
ويهدّم روح الإنسان
فسألت النفس :
ماذا أصنع ؟
هل أدعو جمع الفقراء

أن يلقوا سيف النقمه

في أفئدة الظلـمه ؟

ما أتعس أن نلقي بعض الشر ببعض الشر

ونداوي إثماً بجريمه

ماذا أصنع ..؟

أدعو الظلَـمه

أن يضعوا الظلم عن الناس

لكن هل تفتح كلمه

قلباً مقفولاً برتاج ذهبي ؟

ماذا أصنع ؟

لا أملك إلا أن أتحدث

ولتنقل كلماتي الريح السوّاحه

ولأثبتها في الأوراق شهادة إنسان من أهل الرؤيه

فلعلّ فؤاداً ظمآناً من أفئدة وجوه الأمه

يستعذب هذي الكلمات

فيخوض بها في الطرقات
يرعاها إنْ وَلِيَ الأمر
ويوفّق بين القدرة والفكره
ويزاوج بين الحكمة والفعل ..

أبو عمر : هل تبغي أن يرتفع الفقر عن الناس ؟

الحلاج : ما الفقر ؟
ليس الفقر هو الجوع إلى المأكل والعُري
إلى الكسوه
الفقر هو القهر
الفقر هو استخدام الفقر لإذلال الروح
الفقر هو استخدام الفقر لقتل الحب وزرع
البغضاء
الفقر يقول – لأهل الثروه –

اكره جمع الفقراء

فهمو يتمنون زوال النعمة عنك

ويقول لأهل الفقر

إنْ جُعتَ فكل لحم أخيك

الله يقول لنا :

كونوا أحباباً محبوبين

والفقر يقول لنا :

كونوا بغضاءً بغّاضين

اكره .. اكره .. اكره

هذا قول الفقر

أبوعمر: هذا أمر لا يسكت عنه

هذا الشيخ يقول :

الإنسان شقي في مملكة الله

معنى هذا أن الأمة تشقى في ظل خلافة مولانا

ويقول :

إن الفقر يعربد في الطرقات
معنى هذا أن الأمة لا تجد الأقوات
ولنسأل عندئذ مَنْ سلب الأقوات !

ويقول :

لكن الكلمة لا تفتح قلباً مقفولاً برتاج ذهبي
يعني الأمراء وأهل الجاه
وتؤدي هذي الألفاظ المشتبهه
بالفقراء إلى نبذ الطاعه ..
ولزوم الفتنه
ولهذا أحكم مرتاحاً بإدانته وعقابه
ما رأيك يا بن سليمان ؟

«قبل أن يجيب ابن سليمان ، يدخل الحاجب على عجل»

الحاجب : مبعوث من عند وزير القصر

يستأذن أن يدخل

أبو عمر : من عند وزير القصر
فليدخل ...

المبعوث : مولاي وزير القصر
يهديكم تقديره
ويوجه هذا المكتوب إليكم

« يعطي أبا عمر الخطاب ، فينشره ، وينظر فيه »

أبو عمر : « وهو ينظر في الخطاب »
مولاي وزير القصر
لطفاً منه وكرامه
ينبينا في مكتوبه

« يقرأ »

أن الدولة قد سامحت الحلاج

فيما قد نسب إليه ، وتثبّت منه السلطان
من تحريض العامة والغوغاء على الإفساد
وعفت عنه عفواً كلياً لا رجعة فيه

ابن سليمان: هذا حقاً ، لطف من مولانا و كرامه

أبو عمر : « مستأنفاً النظر في الخطاب »
لكن وزير القصر يضيف :
« هبنا أغفلنا حق السلطان ..
ما نصنع في حق الله ؟
فلقد أنبئنا أن الحلاج
يروي أن الله يحل به ، أو ما شاء له
الشيطان
من أوهام وضلالات
ولهذا أرجو لو يُسأل في دعواه الزنديقيه
فالوالي قد يعفو عمن يجرم في حقه

لكن لا يعفو عمن يجرم في حق الله »

ابن سليمان: هذا أيضاً حق !

ابن سريج: بل هذا مكر خادع
فلقد أحكمتم حبل الموت
لكن خفتم أن تحيا ذكراه
فأردتم أن تمحوها
بل خفتم سخط العامة ممن أسمع أصواتهم
من هذا المجلس
فأردتم أن تعطوه لهم مسفوك الدم
مسفوك السمعة والاسم
يا حلاج ...
هل تؤمن بالله ؟

الحلاج : هو خالقنا وإليه نعود

ابن سريج: هذا يكفي كي يَثبُتَ إيمانه

أبو عمر : يا بن سريج

إني لا أبحث في إيمانه

بل في كيفيه إيمانه

ابن سريج: كيفيةِ إيمانه ..

هل تبغي أن تنبشَ في قلبه

هل هذا من حق الوالي ؟

أم من حق الله

أبو عمر : هذا من حق قضاة الشرع

ابن سريج: لا ، بل هذا من حق الله

فأنا لا أجرؤ أن أسأل رجلاً عن إيمانه

فإذا شئتم أن تمضوا في هذا الإثم ...

أبو عمر : سنمضي يا بن سريج

ابن سريج: فأنا أستعفي من مجلسكم

أبو عمر : هذا لك يا بن سريج

« يغادر ابن سريج مجلسه ، ويخرج مسرعاً من القاعة ، وهو يقول » :

بل هذا من حق الله
بل هذا من حق الله

أبو عمر : ما زالت جلستنا معقوده

« يعود إلى الخطاب »

هذي حاشية في مكتوب وزير القصر ..
تقول ...
« أرجو أهل العدل ، قضاة الحق
أن يستفتوا في أمر الحلاج شهود الصدق
والشرطة قد جمعتهم في باب القاعه

كي تكفيكم هذا الأمر »

يا حاجب

من بالباب ؟

الحاجب : الشبلي الصوفي وبعض العامه

أبو عمر : أدخلهم

« يخرج الحاجب ، ويدخل وبصحبته الشبلي ، تتبعه جماعة الفقراء الذين شهدناهم في المنظر الأول »

« يتقدم الشبلي »

أبو عمر : أقدم يا شبلي

« الشبلي يتقدم أمام المحكمة »

أبو عمر : هل تعرف هذا الشيخ ؟

« الشبلي يشير برأسه موافقاً »

ماذا تعرف عنه ؟

الشبلي : مولاي ... أقِلـْني ، واصرفني
فلقد جذبوني من بين أحبائي
وأتوا بي مخفوراً مقهوراً

أبو عمر : إن كنت تحب العدل
فاشهد بين يدينا بجليّة أمر الحلاج

الشبلي : بجلية أمره ..؟
هذا سلطان لا يملكه إلا الله

أبو عمر : أوليس صديقاً لك ؟

الشبلي : وإمامٌ من أعلى أهل طريقتنا قدرا

أبو عمر : هل تزعم مثله
ان الله تجلى لك ..
أو حل حلولاً في جسدك ؟

الشبلي : كل منا يتحدث عن حاله

أو يصمت حين يشاهد
الحلاج يرى ...
فيجن من الفرحة ، حتى يهذي ويعربد
وأنا أتلذذ في صمتي

أبو عمرو : بك أيضاً ، قد حل الله ؟

الشبلي : يا مولاي

إنْ أحببتَ وأخلصتَ العهد
هل تبقى ذاتُكَ ذاتَكْ
أم تفنى في محبوبك
وبهذا يشعر أهل الوجد
فَنِيَتْ نفسٌ في خالقها
فَنِيَتْ ذات في ذات
لم يصبح في دنياك سوى ذاتِه

حق أنت

قد أصبحتَهْ

ابو عمر : كفرٌ ... كفر

هل هذا قولك أم قول الحلاج ؟

الشبلي : يا مولاي

أرجوك .. اصرفني .. إنـّكَ تلقي بي في النار

فلقد عاهدت الله

ألا أفشي نعماءه

ألا أكشف وجه الأسرار

ألا أتحدث عن حالي قط

دعني أرعى عهدي ، واصرفني

ابو عمر : قول الحلاج إذن ...

الشبلي : « متوسلا »

هل أخرج يا سيد ؟

ابو عمر : اخرج

« يخرج الشبلي مرتاعاً »

« يلتفت أبو عمر إلى جمع الفقراء »

ما رأيكمو يا أهل الإسلام
فيمن يتحدث أن الله تجلى له
أو أن الله يحل بجسده ؟

المجموعة : كافر .. كافر

ابو عمر : بم تجزونه ؟

المجموعة : يقتلِ ، يقتل

ابو عمر : دمه في رقبتكم ..؟

المجموعة : دمه في رقبتنا

ابو عمر : والآن .. امضوا ، وامشوا في الأسواق

طوفوا بالساحات وبالخانات

وقفوا في مُنعطفات الطرقات

لتقولوا ما شهدت أعينكم

قد كان حديث الحلاج عن الفقر قناعـاً
يخفي كفرَه

لكن « الشبلي » صاحبه قد كشَّفَ سره
فغضبتم لله ، وأنْفَذْتُم أمره
وحملتم دمه في الأعناق
وأمرتم أن يقتل
ويصلّب في جذع الشجره
الدولة لم تحكم
بل نحن قضاة الدولة لم نحكم
أنتم . . .
حُكّمْتُم ، فحَكَمْتُم
فامضوا ، قولوا للعامه

العامة قد حاكمت الحلاج

امضوا .. امضوا.. امضوا

« يخرجون في خطى متباطئة ذليلة »

(ستار)

« تذييل »

(١٧) ٦٠٣

(أ) ولد الحسين بن منصور الحلاج حوالي منتصف القرن الثالث الهجري ، وكان أبوه يشتغل بصناعة الحلج وعمل هو بها زمناً ، ومن هنا أتاه هذا اللقب .

وتلقى خرقة الصوفية في شبابه عن المتصوف المعروف عمرو المكي ، وذلك بعد لقاء قصير بسهل التستري ، أحد كبار المتصوفين . والخرقة رمز الانخلاع عن الدنيا والفناء في الجماعة الصوفية ، ثم تزوج بعد ذلك بامرأة بصرية ، أولدها أولاداً وعاش معها حياته كلها .

واتصل بعد ذلك بالجنيد شيخ صوفية عصره ، ثم صار له مريدون عبر عنهم في قصائده بقوله « أصحابي وخلاني » ، وقد اختلف مع صوفية عصره حين أخذ يتصل بالناس ويتحدث إليهم ، فنبذ خرقة الصوفية .

وطاف بعد ذلك ببلاد الهند ، ثم عاد إلى بغداد ليعظ ويتحدث عن مواجده ، يبث الآراء الإصلاحية ، ويتصل ببعض وجوه الدولة ، ويجمع حوله مجموعة من الفقراء، وظلت حياته بين سجن ومحاكمات لا تتم ، واتهام وتكريم حتى كانت محاكمته الأخيرة في عام ٣٠٩ هـ. أمام القاضي المالكي أبي عمر الحمادي ، ومعه قاضيان أحدهما شافعي والآخر حنفي كما جرت بذلك العادة .

وقد ترك لنا الحلاج مجموعة من الأشعار تتحدث عن مواجده الصوفية ، ومجموعة من الأشعار النثرية في كتابه الممتع العظيم « الطواسين » .

وقد كان لمقال ماسينيون « المنحنى الشخصي في حياة الحلاج » ، ولكتاب « أخبار الحلاج » الذي حققه ماسينيون وعلق عليه مع بول كراوس أكبر الأثر في لفتي إلى سيرة هذا المجاهد الروحي العظيم . وفي مقال ماسينيون إشارة إلى الدور الاجتماعي للحلاج في محاولته إصلاح واقع عصره . وماسينيون ينسب الحلاج إلى الحنابلة ، ويجعل الشيعة – ومنهم كان الوزراء وكبار الحكام – عدا الخليفة – هم الساعين في دمه ، وذلك بعد تحقيق تاريخي مسهب .

والإشارة لدوره الاجتماعي نجدها في المراجع العربية القديمة . فالإصطخري يقول إنه استمال جماعة من الوزراء وطبقات من حاشية السلطان وأمراء الأمصار وملوك العراق والجزيرة ومن والاها .. استمالهم لماذا ؟ لا يحدثنا الاصطخري .

ولكن أضواء أخرى تلقي على طبيعة هذه الاستمالة مثل تأكيد الحجو ويرى في كتابه كشف المحجوب أنه رأى بالعراق بعدما يزيد قليلاً عن مائة سنة من موت الحلاج طائفة تسمي نفسها الحلاجية . وهذا ، أو قريب منه ما يحدثنا به أبو العلاء المعري في « الغفران » من أن هناك قوماً في بغداد ينتظرون خروج الحلاج ، ويقفون بحيث صلب على دجلة يتوقعون عودته ، وقد مات المعري بعد صلب الحلاج بمائة وأربعين عاماً .

فمما لا شك فيه إذن أن الحلاج كان مشغولاً بقضايا مجتمعه، وقد رجحت أن الدولة لم تقف ضده هذه الوقفة إلا عقاباً على هذا الفكر الاجتماعي .

أما مسألة حنبليته ، ووقوف الشيعة ضده ، فتلك مشكلة . فرغم تأكيد ماسينيون فإن دارسين آخرين مثل

جولد تسيهر ودي بور وآدم ميتزلا يشيرون إليها . كما أن بعض المراجع العربية القديمة تغفلها ، بل إن بعضها يشير إلى شيعته مثل قول الاصطخري نقلاً عن ابن حوقل إن الحلاج كان في أول أمره داعياً من دعاة الفاطميين ، وقول ابن النديم في الفهرست إنه كان في أول أمره يدعو إلى الرضا من آل محمد .

هي مسألة مختلف فيها إذن ، ولذا أسقطتها من تقديري .

وقد أخذت من التاريخ شخصيات معظم مسرحيتي ، فالشبلي من كبار الصوفية وكان صديقاً للحلاج ، وله شهادة في المحكمة ، وقد استجوب الحلاج ، وهو على صليب الموت بهذه الآية القرآنية « أو لم ننهك عن العالمين » . وكان ابراهيم ابن فاتك مريده وخادمه وهو الذي روى لنا بعض فصول كتاب « أخبار الحلاج » أما القاضيان أبو بكر الحمادي وابن سريج فأولهما من قضاة المالكية المعروفين بتقربهم إلى الخلفاء والأمراء وثانيهما الفقيه الشافعي العظيم .

وقد أعدت صياغة أحداث التاريخ، وبخاصة وقد اقترنت تلك الفترة بالغموض الشديد ، فاقتصرت على المحاكمة الأخيرة وقد كان رأي ابن سريج في كراهيته محاكمة الانسان في

تفاصيل عقيدته من ألمع الآراء التي وردت في المحاكمة الأولى ، فدفعت به إلى المحاكمة الثانية ، ورغم أنه — على رواية انفرد بها ماسينيون — لم يكن أحد قضاتها .

كما أني أيقنت منذ القراءة الأولى للمادة المروية عن الحلاج أن كثيراً من أخبار شطحاته ومعجزاته مبالغ فيها ، خاصة وقد أصبح بعد موته ولياً وقديساً ومهدياً منتظراً عند بعض المسلمين ، فكونت من الطواسين ومن شعره مذهباً تصوفياً ينسجم مع التصوف وأصول العقيدة المتحررة معاً .

(ب) نشأ المسرح شعرياً . وأغلب الظن أنه سيعود كذلك ، رغم غلبة الطابع الاجتماعي النثري منذ أواخر القرن التاسع عشر . ولكن الإيماضات الشعرية التي تتخلل المسرح النثري الآن تؤذن بعودة الشعر إلى المسرح . وليس الأسلوب النثري المحكم — كما قال أحد النقاد — إلا محاولة الاقتراب من الشعر في تركيزه وموسيقاه .

وقد واجهتني مشكلة الموسيقى ، ولأهل الولع بالعروض أقول إني استعملت في مسرحيتي هذه أربعة ألوان من التفاعيل :

أولاها : تفعيلة الرجز « مستفعلن » بما يجوز أن يدخلها من التحويرات .

ثانيها : تفعيلة الوافر « مفاعلتن » وقد كان العروضيون الأقدمون يجيزون فيها إسكان الخامس المتحرك ، فتصبح « مفاعيلن » . ولكنهم يستكرهون حذف السابع لتصبح « مفاعيل » وإن كانوا لا يحرمونه ، وقد وجدت اللغة المسرحية تحبه وترتاح إليه أحياناً ، ولعل هذا هو ما أريد أن ألفت له ، وهو أن الكتابة للمسرح الشعري ستدخل على موسيقى العروض نوعاً من الطواعية .

وثالثها : تفعيلة المتقارب « فعولن » .

ورابعها: تفعيلة المتدارك « فعلن » المحورة عن فاعلن ، وقد شاع استعمال هذه التفعيلة في شعرنا الحديث. وهي أقرب إلى لهجة الحوار من الرجز ، وفيها موسيقية راقصة وخاصة إذا تكونت من متحرك فساكن فمتحرك فساكن . ولكنها إن

حركت آخر حروفها أحياناً ، وهذا ما لم يجزه الأقدمون ، أصبحت ذات إيقاع جاد ، وانكسرت الحركة الراقصة لتحل محلها تناوبات موسيقية متماوجة .

وتحريك الحرف الأخير يمارسه جميع من يكتبون الشعر الحديث رغم تحريم الأقدمين له .

وهذه هي المحاولة الأولى ، ولا شك أن المسرح الشعري سيطور عروضه .

ص ٠ ع

مُسافِرُ ليل

(كوميديا سوداء)

المنظر :

عربة قطار ، تندفع في طريقها على صوت موسيقاها .

الزمان :

بعد نصف الليل .

الشخصيات :

الراوي

المسافر

عامل التذاكر

« على جانب المسرح أي في ركن العربة يقف الراوي ، مرتدياً حلة عصرية ، بالغة الأناقة .. وردة أو رباط عنق لامع أو صدار مقلم أو سوار ساعة ذهبي ، أو كل هذه الحلى والزواقات ... وجهه ممسوح بالسكينة الفاترة ، صوته معدني مبطن باللامبالاة الذكية .

على أحد مقاعد العربة يجلس المسافر ، نموذج للانسان بلا أبعاد . الإنسان الذي لا نستطيع أن نصف إلا ملامحه الخارجية ، فنقول إنه بدين أو نحيف ، طويل أو ربعة ، أشقر أو أسمر ، وكل هذه الأوصاف سواء » .

أما عامل التذاكر الذي سيظهر بعد قليل ، فهو رجل مستدير الوجه والجسم ، عليه سيماء البراءة التي تثير الشبهة .

الراوي :

بطل روايتنا ومهرجها رجل يدعى ...
يدعى ما يدعى
ماذا يعني الاسم ؟
والوردة تحت أي اسمٍ تنشر عطرا
والقنفذ تحت أي اسم يدخل في جلده

* * *

صنعته ... أية صنعه
ولنحكم من هيئته وثيابه
وعلى كل ، فالأمر بسيط
صنعته ... أية صنعه

* * *

وهو يسافر في آخر قاطرة ليليه
نحو مكان ما
ويعد عواميد السكه
واحد .. اثنين .. ثلاثه .. خمسه .. مائه

* * *

هوذا يتململ سأمانا

إذ لا تستهويه اللعبه

فيجرب أن يلعب في ذاكرته

يستخرج منها تذكارات مطفأةً ، ويحاول أن يجلوها

أسفاً ، لا تلمع تذكاراته

يدرك عندئذ أن حياته

كانت لا لون لها

* * *

يَسقِطُ من عينيه أيّامه

تتبدد دوامات فوق حديد الأرضيه

لا تتكسَّرُ قطعاً وشظايا

إذ ليس هنالك شيء صلب

تراك ... تراك ... تراك

* * *

يتذكر مسبحته

يستخرجها من جيب السروال الأيمن

تهوي من يده ، يتفقدها بأصابعه ،
فتروغ لترقد بين الكرسيين
يجهد أن ينقذها ، فتغوص .. تغوص .. تغوص ...
ويظل يفتش حتى تتناثر سبحته حبات
تتساقط فوق حديد الأرضيه
تراك .. تراك .. تراك ..
يخرج من معطفه جلد غزال دُوِّنَ فيه التاريخ بعشرة أسطر
تستوقفه بضعة أسماء
كانت أحرفها البارزة السوداء
تلمع فوق الجلد المتغضن

الراكب :

الاسكندر
« تك ... تك ... تك »
هانيبال

« تك ... تك ... تك »

تيمورلنك

« تك ... تك ... تك »

هتلر ... متلر ... جونسون ... مونسون

.. تك .. تك .. تك .. تك ..

الاسكندر .. الاسكندر .. الاسكندر

الراوي :

معذرة .. لا ينفصل الانسان عن اسمه

فالعظماء يعودون إذا استدعيتهمُ من ذاكرة التاريخ

لتسيطر عظمتهم فوق البسطاء

والبسطاء يعودون إذا استدعيتهمُ من ذاكرتك

ليكونوا متنزّه أقدام العظماء

ولذلك خير أن ننسى الماضي

حتى لا يحيا في المستقبل

حتى لا يخدعنا التاريخ
ويكرر نفسه

الراكب :

الاسكندر .. تك .. تك .. تك
الاسكندر .. تك .. تك .. تك

« يرتفع صوته كأنه يستجيد نغماً ، وتلمع في ركن العربة المواجه للراوي ، دائرة ضوء ، يظهر فيها عامل التذاكر بثيابه التقليدية الصفراء »

عامل التذاكر :

من يصرخ باسمي ؟ من يدعوني ؟
من أزعج نومي في زاوية العربه ؟
أنت ...؟

الراكب :

معذرة .. من أنت ؟

عامل التذاكر :

أنا الاسكندر
في صِغَري روضت المهر الجامح
في ميمعة عمري روضت أرسطاليس
حين بلغت شبابي روضت العالم

الراوي :

الراكب تسري الدهشة في فكيه وعينيه
وجه مرسوم في إعلان
بل هو خائف —
للإنصاف ، قليلاً
وهو يقول لنفسه

الراكب :

هذا البرميل الأسمر في الكيس الكاكي ..؟
الاسكندر .. لا .. لا

الراوي :

الراكب يتأرجح كالميزان المهتز
حتى ترجح كفةُ شكه
كفّةَ خوفِه

الراكب :

مرحى يا اسكندر ، هل أكثرت من الشرب ؟

عامل التذاكر :

لا تعرفُ قدري يا جاهل
قسماً ، سأروضُكَ كما روضت المهر الجامح .

الراوي :

تمتد يد الاسكندر في الجيب الأيمن

يستخرج سوطاً ملفوفاً

تمتد يد الاسكندر في الجيب الأيسر

يستخرج خنجر

تمتد يد الاسكندر في ثِنْيَة سرواله

يستخرج غداره

تمتد يد الاسكندر في حلقه

يستخرج أنبوبة سم

تمتد بد الاسكندر في جيب خلفي

يخرج حبلاً

يتحسسه خجلاناً ، ويقول

عامل التذاكر :

عفواً ، هذا مات به أغلى أصحابي

أعطيت صديقي الحبلَ ليلعب به

فأساء استعماله

هل تدري ؟

كلماتي في منعاهُ صارت من مذخور التاريخ الأدبي
لم أكتبها ، لكني شاهدت وزيري يكتبها
وصرفت له خبزاً ونبيذاً ، حتى أنهاها
حتى علمني أن ألقيها إلقاء مأساوياً ،
يخضع لأصول النحو
فأنا أخطىء دَوْماً في الفاعل والمفعول
كان وزيري طمّاعاً ؛ إذ طالبني بولايه
ثمناً لدخول التاريخ ككاتب
فوهبت وزيري الأرض بأكملها كي يرقد فيها

« يخبىء عامل التذاكر الحبل في قبعته »

الراوي :

المشهد يتلخص فيما يأتي :
الراكب محموم بالرعب
يتغير وجهه
مثل إشارة ضوء

والاسكندر قد عبّأ جيشه
السوط وأنبوب السم جناح أيمن
والغدارة والخنجر
فيلقه الأيسر
لا نجرؤ طبعاً أن نذكر ما في قبعته
حتى لا يغضب

عامل التذاكر :

لا يجرؤ أحد أن يعصي أمري
هل تجرؤ ؟

الراكب :

لا ، يا مولاي
قل لي .. بمَ تأمر ؟
أسرعَ من رجع حديثك سأكون

الراوي :

قال الراكب في نفسه
ما يدريني ، فلعل الرجل هو الاسكندر
ولعل الموتى العظماء
ما زالوا أحياء
وعلى كل ، فالأيام غريبه
والاوفق أن نلتزم الحيطه
ولعلي إن لِنْتُ له أن يتركني في حالي
قال الراكب في نفسه
فلأتذلل له

الراكب :

ماذا تبغي مني يا مولاي ؟
عفواً ، مثلك لا يبغي من مثلي شيئاً -
أعني .. بم يشملني عطفك ؟
بم تكرمني

هل تجعلني سرجاً لجوادك ؟

عامل التذاكر :

ضاقت نفسي بركوب الخيل الآن

الراكب :

هل تجعلني فرشة نعلك ؟

عامل التذاكر :

يندر أن أمشي ، يؤلمني اللمباجو
أتمدد أحياناً في الشمس ، وآخذ حمام بخار كل صباح

الراكب :

فلتجعلني فحّاما في حمامك
اعهد لي بمناشفك الورديه
اجعلني حامل خفيك الذهبيين
لكن لا تقتلني ... أرجوك

الراوي :

العامل يلقي في ضيق أسلحته
ويمد يديه الفارغتين
في كسل نحو الراكب

الراكب :

تقتلني بيديك .. ؟ لا .. لا ..
أرجوك .. جربني في أي مهمه
اعهد لي بأخسّ الأشياء
أو أعظمها
اصنع بي ما شئت
لكن لا تقتلني

عامل التذاكر :

ماذا .. ؟ -
لم تصرخ يا سيد ؟

هل تحلم ؟
لم تجمد كالفأر المذعور ؟
لأظن بأنك لم تركب قاطرة من قبل
أوه ، لمَ يشحب وجهك حين أمد إليك يدي ؟
أو لا تعرف ما أطلب ؟
أو لا تعرفني ؟

الراكب :

أنت الاسكندر ...

عامل التذاكر :

ليس اسمي الاسكندر
اسمي زهوان

الراكب :

بم تأمر يا مولاي الـ ... زهوان ؟

عامل التذاكر :

مذعور .. وغبي !
أولا تدرك من ثوبي ما أطلب
أطلب تذكرتك
هذا عملي .. عمل مرهق
يَنزِعني من فرشي في بطن الليل
يحرمني من نومي .. أشهى خبز في مائدة الله
أحياناً لا تحوي القاطرة سوى حفنة ركاب
ينتثرون كأجولة ملقاةٍ في مخزن قطن مهجور
بل أحياناً لا تحوي إلا رجلاً أو رجلين
تبدو مظلمة باردة خافتة الأنفاسِ ...
كبطن الحوت الميت
أعرف ذلك حين تقمقعُ فوق رصيف البلده
أنوار مطفأة ، وزجاج لا تلمع خلف غشاوته رأس
لكني أتفقد كل العربات
هذا واجب !

أتحسس جلد مقاعدها وأحدق في الظلمه
أحياناً أقلب ظهر المقعد
بل إني أحياناً أقعي كي أنظر ما تحت المقعد
بل إني أحياناً أستخرج مطواتي ، واشق المقعد
ماذا ؟ لا أغفر أن يركب أحد دون تذاكر
ماذا ؟ هل هدأت نفسك ؟
تذكرتك

« الراكب يكاد أن ينسى موضع تذكرته ، ويقلب جيوبه جيبا جيبا ، حتى يجدها في كفه »

الراكب :

هذي تذكرتي

عامل التذاكر :

شكراً ... تذكرة خضراء ...

ومربعة تقريباً ...
وطريه ...
هذا يعني أنك رجل طيب
هل تدري أني صليت المغرب ثم غفوت ...
بكامل ثوبي
استعداداً للنوم
حتى دق الجرس برأسي ، فتركت سريري
لم آكل لقمه
خضراء .. شكراً لك
إنك تحرجني إذ تؤثرني ، وتفضلني عن نفسك
كم يأسرني الخلق الطيب .. شكراً لك ..

الراوي :

فلننتبه الآن
فسيحدث شيء من أغرب ما يخطر في بال
العامل يفتح فمه ، يمسح وجه التذكرة بكفه

يتذوقها بلسانه ..
يستطعمها ، يقضم منها ، يمضغها
يبلعها ، يتجشأ
تتحسس كفاه معدته ، وتدلك كفاه أحشاءه
يشكر ربه
ويقبل باطن يده في عرفان ومسره
أما الراكب
فمن الدهشة لا يسعفه الفكر
بل لا يعرف كيف يفكر
بل لا يعرف كيف يكون الفكر

عامل التذاكر :

تذكرتك يا سيد !

الراكب :

أعطيتك إياها يا سيد

عامل التذاكر :

أين .. ؟

الراكب :

في بطنك يا سيد

عامل التذاكر :

لا ترتفع الكلفة إلا بين صديقين
فالزم حدك
أقسم أنك رجل ساخر
لكنك لن تجني من سخريتك إلا ما لا ترضاه
حقاً ، قد تأسرني خفة ظلك
لكن بحدود
فالواجب سيظل هو الواجب

الراكب :

أقسم أني أعطيتك إياها يا سيد

عامل التذاكر :

وأنا ألقيت بها من هذا الشباك .. ؟

الراكب :

لا ، بل أنت أكلـ ...

عامل التذاكر :

إيه .. أنا .. ماذا ؟
علمني سني أن يتأخر غضبي ،
أن يتقدم عقلي سُخْطي
لكني لا أسمح إطلاقاً أن يتقدم عقلي خطوات القانون

اسمع يا ...

الراكب :

عبده

عامل التذاكر :

اسمع يا عبده
فلنتحدث في هذا الموضوع الشائك كصديقين
كرفيقيْ رحلة
بدلاً من أن نتحدث خصمين كما يفرض هذا الوضع
المؤسف

(راكب وعامل تذاكر)

إيه .. أوْسع لي جنبك
وسأخلع سترتي الرسمية حتى لا تخشاني
فلدى بعض الناس حساسية ضد اللون الأصفر
خذ نصحي كصديق
لا تتحدث إلا فيما تبغي أن تتحدث فيه
زِن كلماتك بالميزان
فكر مراتٍ عشراً في كل سؤال
عشرينَ لكل إجابه

إحـذر أن يضطرب كلامك حتى لا يلتف حبالاً في عنقك
لكن .. إيه .. ننتظر قليلاً حتى أخلع هذا الثوب الرسمي ..

الراوي :

العامل يخلع سترته الرسميه
تحت السترة ستره
العامل يخلع سترته الثانيه الرسميه
تحت السترة ستره
ما زال اللون الأصفر في أعيننا
ويذكرني هـذا أني أبغي أن ألقي تعليقاً حول اللون الأصفر ،
تنقسم الآراء بشأن اللون الأصفر
فيراه بعضهمو لون الذهب الوهاج
ويراه بعضهمو لون الداء .. ولون الوجه المعتل

لون الموت ..

عامل التذاكر « وهو يجلس بجانب الراكب » :

هذا أفضل ..

الآن ، وقد ألقيت الستزة نتحدث كصديقين

ماذا قلت .. اسمك

الراكب :

اسمي عبده

عامل التذاكر :

وأنا اسمي .. سلطان

الراكب .

قلت أن اسمك زهوان

عامل التذاكر :

أنا .. زهوان .. لا .. لا ..

هذا اسم زميلي .. الأرقى مني
رتبته أربع سترات
أحلم أحياناً أن أقتله وأحل محلّه
زوجته ناصعة الوجه ، ورابية الفخذين
وامرأتي عجفاء ممصوصه
يسكن في الجزء المُشْمِسِ في غرب الضاحية الورديه
سكني لا بأس به ..
لكني أحياناً أتململ من صيحات المـــارة وعواء السيارات

ماذا تعمل ..؟

الراكب :

في حرفه ..

عامل التذاكر :

حرفه

لم يُرْسِلْني أبواي لأتعلم حرفه
لست أجيد سوى تفتيش العربات
وعلى كلٍ ، لم أخسر شيئاً
أجرٌ لا بأس به ، يتدرج حتى ستراتٍ عشرا
قل لي ثانية ، ما اسمك

الراكب :

عبده

عامل التذاكر :

ليس اسمك عبده .. إنك تكذب

الراكب :

بل إني عبده ..
أقسم لك ..

وأبي عبدالله ، وابني الأكبر يدعى عابد ،
وابني الأصغر عباد ، واسم الأسرة عبدون

عامل التذاكر :

هل معك بطاقة؟

الراكب :

أحفظها دوماً في جيبي الأيمن
أقرب شيء لِيَدي إذ تُطلَبُ مني مرات عشرا
في اليوم
يوماً طلبوها مني ستاً وثمانين
يوماً آخر سبعين

عامل التذاكر :

أعلى رقم تسعون .. وهذا شرع القانون

وعلينا أن نتكشف كالنور
نتّضح كمرآة بجلوه
ونعد لكل سؤال رداً لا يملك أن يفضيَ لسؤال
آخر

ما دمت سليما لن تفزّعك الأيدي إذ تمتد إلى السله
كي تلقيَ بالثمر العاطب
إنك – فيما يبدو – رجل طيب
فاحفظ هذي الورقة دوماً في متناول يدك اليمنى
فهي بطاقتك الشخصيه
أغلى ما تملك
أرينها لحظه ..
شكراً .. خضراء ، ومربعة تقريباً
جافه ..!

لكن .. لا بأس
هـــل تدري أني صليت المغرب ، ثم غفوت بكامل
ثوبي ..

استعداداً للنوم
حتى دق الجرس برأسي ، فتركت سريري
لم آكل لقمه
خضراء .. شكراً لك .. لا بأس بها

« العامل يمد الورقة إلى فمه ، فينتفض الراكب مذعوراً »

الراكب :

أرجوك .. لا تأكلها .. أرجوك

عامل التذاكر :

آكلها ...
كنت أظنك .. ماذا .. رجلاً يتمتع ببقية عقل
آكلها .. يا لله .. آكلها

هل يأكل أحد ورقه ؟
هذا ما لم نسمع به
نسمع عن أكل لحوم الخيل ، جراد الصحراء ،
قدم الضفدع ، أعشاب البحر
بل نسمع أحياناً — يا للقسوة — عن أكل لحوم
الأحياء أو الموتى
لكنا لم نسمع أبداً عن أكل الأوراق ..

الراوي :

هذا ليس صحيحا
معذرة لمقاطعته
لكني أبغي أن ألقي تعليقاً آخر
فألذ طعام للإنسان هو الأوراق ...
وأشهى ما في الأوراق هو التاريخ
نأكله كل زمان وزمانٍ ، ثم نعيد كتابته في أوراق
أخرى

كي نأكلها فيما بعد

عامل التذاكر :

إني مندهش من أمرك
كنت أظنك تفهم عني
لكني لن أقسو في لومك
فلقد مات الود وهان ولما تُعقَدْ عقدتهُ بعد ...
مضطراً يا سيد
سأعاملك معاملة رسميه
لكني كنظامي مسؤول
وثلاثي السترِه
أتذكر كلمة عشري السـترِه
لما سلمنا أوراق التعيين

الراوي :

إني أحفظ هذي الـكلمات

فيما أحفظه من درر القول

مثل :

« جوع كلبك يتبعك »

سيدنا النعمان بن المنذر

ومثل :

« عندما أسمع كلمة الثقافة أتحسس مسدسي .. »

سيدنا هرمان بن جورنج

ومثل :

« علمهم الديموقراطية ، حتى ولو اضطررت إلى قتلهم جميعا »

سيدنا ليندون جونسون

ومثل :

« إني أرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها »

سيدنا الحجاج الثقفي

أما كلمة عشري السترة ، فهي :

« حقق في رحمه
ثم اضرب في عنف »

عامل التذاكر :

« رافعاً يده بالتحية »
ها أنذا يا عشري السترة أترقرق رحمه
وأقول لهذا الرجل المتقنع ببلاهته المكشوفه
إني حين رفعت بطاقتك إلى وجهي
لم أكُ أنوي أن آكلها
بل كنت أحدق فيها
ما زلت أحدق فيها
ما زلت أحدق فيها
يا للشيطان .. ما هذا ؟

الراوي :
سرٌ في الموضوع

سرٌّ في الموضوع
فلقد ألقى العامل بالورقة للأرض
مذعوراً ، أو كالمذعور

عامل التذاكر :

هذي قطعة ورق بيضاء
فرد واحد
في حوزته هذي الأوراق البيضاء
فرد موجود منذ قديم الأزمان
أو لم يوجد بعد
أو لم يوجد قط
لكنا نسمع عنه في كل مكان
بعض الناس رأوه
أو خالوا أنهمو في بعض الأحيان رأوه
بعضهمو قد خاطبه مثل خطابي لك

أو يزعم بعضهمو أن قد خاطبه يوماً ما ..

«الراكب يمد يده للأرض، ويلتقط الورقة، ويتحدث وهو يشير اليها .. »

لكن أوراقي ليست بيضاء
هذا اسمي !
هذا رسمي !

عامل التذاكر :

لا .. أوراقك بيضاء .. أنظر
أنظر ، بيضاء تماماً
لا تعرف أوراقك
آه ، أدركت الآن
هي ليست أوراقك
أنت سرقت الأوراق إذن

لحظه ..

الأمر خطير

الراوي :

العامل يستخرج نجمة مأمور أمريكي من جيبه
ويعلقها في صدره
يتحول عن مقعده حتى يجلس في وجه الراكب
يسحب رفاً من تحت المقعد
يصنع منه مائدة ، ينشر أوراقاً
يستخرج بضعة أقلام من جيب السروال الخلفي
يشعل سيجاراً
يضفر شاربه بلعاب ثناياه
أو بدهان يستخرجه من جيب السروال الخلفي

يتنحنح مزهواً ، ويقول :

عامل التذاكر :

يا عبده

قف ، واسمع وصف التهمه

أنت قتلت الله ..

وسرقت بطاقته الشخصيه

وأنا عُلوان بن الزهوان بن السلطان

والى القانون

في هذا الجزء من العالم

باسمك يا عشري السترة

أفتتح الجلسه

الراكب :

لا .. لم أفعل

مظلوم .. مظلوم

إني أطلب عشري السترة ذاته
أطمع في عدله

عامل التذاكر :

لحظه
لا بد لكي يجري العدل
من أن نحفظ للعدل مظاهره الرسميه

الراوي :

هذا حق
فالعدل بلا مظهر
كالمرأة دون طلاء
كالمسرح – مسرحنا هذا – دون ستائر
ولهذا ، فالعامل يقفز كي يجلس في أعلى العربه

فوق الرف الشبكي

ويدلي ساقيه ، ويؤرجح قدميه على رأس الراكب

لا تندهشوا ، هذا أيضاً حق

فقديماً قالوا :

إن القانون ..

فوق رؤوس الأفراد

الراكب :

مظلوم والله ، مظلوم .. مظلوم ..!

لم أقتل أو أسرق

أدركني يا عشري الستره

عامل التذاكر :

هل تطلب عشري الستره ؟

الراكب :

مظلوم .. مظلوم

عامل التذاكر :

أنا عشري السترة
أنظر .. !

الراوي :

العامل يفتح سترته الرسميه
مرة ، مرة ، مره ، مرات سبعا
تلمع أزرار السترة من سترته الأولى حتى جلده

الراكب :

عدلك يا عشري الستره

عامل التذاكر :

هل تطمع في عدلي ؟
ماذا تعرف عن عدلي ... ؟

الراكب :

إنك أعدل من في الأرض

عامل التذاكر :

لا بأس بهذا ...
حدثني عن رفقي بالضعفاء

الراكب :

فإذا رحمت ، فأنت أم أو أب
هذان في الدنيا هما الرحماء

عامل التذاكر :

هذا أحسن
حدثني عن علمي

الراكب :

عليم بأسرار الديانات واللغى
له خطرات تفضح الناس والكتبا

عامل التذاكر :

طيب .. طيب
حدثني عن جودي

الراكب :

ولو لم يكن في كفه غير روحه
لجاد بها ، فليتق الله سائله

عامل التذاكر :

لا ، هذا قول طائش
فأنا لا أقدر أن أعطي أحداً روحي
لا ضناً مني أو بخلاً ، بل إشفاقاً أن يختل نظـــام الكون
هي مسؤوليه ..!
هل هذا شعرك ؟

الراكب :

لا ، وجلالة مجدك
هـــذا شعر سمج مأفون يعلق في ذاكرتي من أيام صباي

عامل التذاكر :

هل تعرف قائل هذا الشعر ؟

الراكب :

المتنبي فيما أذكر ..

عامل التذاكر :

لا ، لا ، لا يخطىء حدسي أبدا

هذا يبدو من شعر العائم

شعبان العائم

الراوي :

الراكب تسعفه الجبله

يتلمس قلماً من أقلام العامل

يتصنع هيئة مبهور بالمعلومات

ويقول بصوت متزلف

الراكب :

من يا مولاي ؟

عامل التذاكر :

شعبان العائم
صحفي في حاشيتي
لا يصلح إلا في هذا الهذر الأجوف
لكني أتسلى به
هل تعلم .. لست سعيدا
يتخيل بعض الحمقى أني رجل محظوظ
ويقولون لأنفسهم ، ..
حين يعودون إلى أكواخهم وزرائبهم في الليل

« ماذا يصنع عشري الستره ؟
يتقاضى أعلى أجر
يسكن في قصر
يتصرف في أقدار الناس
لا يدرون بأني أحمل أكبر عبء
أفزع في الليل إذا حدثت واقعة ما

أخرج من قصري كي أتفقد أحوال الخلق
أحفظ في ذاكرتي أسماء القتلة والسفاحين
وذوي الأفكار السيئة الأخطر من أخطرِ ...
أنواع القتلة والسفاحين

استقبل زوار البلد الغرباء
أتحمل نظراتهمُ الحاقدة البكماء
أشرب قدح القهوة حتى مع أعدائي
مع زواري من كل مكان
أتجرع مائتي فنجان في اليوم
فسدت أمعائي ، آكل أكلا مسلوقا

هل تعلم أني أحيانا
لا أغفو إلا ساعات في الأسبوع
لا تتصور أني أخشى أن أُقتل في نومي
فأنا لا أخشى الموت
لكن لا بد من الحيطه
ولهذا ، فأنا أقتل أعدائي أو أشريهم بالترتيب

لا أخشى من أعدائي ، بل من أصحابي
يأكلهم حَسَدٌ ضارٍ
قد يبتسمون بوجهي ، لكنَّ قلوبهمو سوداء
إني أحيا في وحده
أحيا في وحده
أحيا في وحده

الراكب :

لا تحزن يا مولاي ..

عامل التذاكر :

أنا لا أبكي نفسي ، لكني أبكي ضَيْعَةَ نفس الحساد
أبكي من أجل قلوبهمو السوداء
أتمنى لو رأوا النور وعرفوه

لو عرفوا معنى أن يصفُو القلب ويتطهرَ بالحب

الراكب :

لا تحزن يا مولاي ..
دمعك أغلى من أن تسفحه إشفاقاً منك ،
على أهل السوء ..

عامل التذاكر :

هذا حق
يبدو أنك رجل طيب
لحظه ..

الراوي :

العامل يهبط من فوق الرف
يجلس جنب الراكب

الراكب يتفاءل بالخير
يشكر ذِلّتَهُ إذ توشك أن تُنْقذَ روحَه.

عامل التذاكر :

فلنتحدث كصديقين
فلعلك تغفر لي اني أتمعن في أمرك
إذ أنبئك بأن قد شاعت شائعـــة لا أدري ما فيها من صدق ..

الراكب :

فلنتحقق منها يا مولايَ
بثاقب عقلك وسديد ذكائك

عامل التذاكر :

هذا ما أفعل

أنظر .. قدّر وضعي
أنا مسؤول عن هذا الوادي كله
والشائعة تقول :
رجل من أهل الوادي قد قتل الله
وسرق بطاقته الشخصيه

الراكب :

هذا أفظع ما سمعته إذن
شائعة كاذبة يا مولاي ، بلا شك

عامل التذاكر :

لا ، هي صادقة ، وبكل أسف
لكن بطريق غير مباشر

الراكب :

أعذر قلة فهمي يا مولاي

ما معنى هذا ..؟

عامل التذاكر :

يعجبني تقديرك للموقف
وسأشرح لك

الراكب :

شكراً يا مولاي

عامل التذاكر :

لا داعي للشكر
هل تدري ما معنى فقد بطاقتك الشخصيه
معناها أنك لست بموجود
فالسارق قد قتلك
إذ أفقدك تَشخُّصَكَ المُتَعَيِّنْ

الراكب :

سامح جهلي يا مولاي
ما معنى هذي الكلمه

عامل التذاكر :

أي أفقدك وجودك
أفهمت ..؟
ولهذا حين أقول :
أنت قتلت الله
لا أعني طبعاً – أستغفره – إنكَ قد ..
لا ، لكني أعني .. أنت سرقت بطاقته الشخصية
وبهذا يتساوى الأمران

الراكب :

لكني لم أفعل شيئاً من هذا قط

عامل التذاكر :

هذا أمر آخر

نتداول فيه فيما بعد

لكن الموضوع ..

إن الله تخلى عن هذا الجزء من الكون

لا يُعطينا شيئاً قط

لا ينظر في هذي الناحية كما كان

قلنا :

ماذا حدث لنا ..؟

قالوا :

أحدهمو قد قتل الله هنا

ولهذا فهو يخاصمنا

أعني ـ طبعاً ـ أحدهمو قد سرق بطاقته الشخصيه

وانتحل وجوده.

قلنا :

نبحث لكن في السر

وبحثنا
راجعنا كل ملف
سجلنا كل مكالمة تليفونيه
صورنا كل خطاب
أمسكنا بالآلاف
عذبنا عشرين لحد الموت
وثلاثين لحد العاهه
وثمانين إلى حد الإغماء
لكن لا جدوى

الراكب :
وهل اعترف أحد

عامل التذاكر :
اعترف قليلون

مائة فيما أذكر

لكن لا جدوى

الراكب :

كيف ..؟

عامل التذاكر :

ما زال الله يخاصمنا
والأمر خطير
وأنا نفسي – عشري الستره
أتنكر في زي العمال
أو في أسمال الفلاحين
أنزل في الوديان
أهبط في أعماق الحارات
أصعد للأدوار العليا بالدرجات الخلفيه

أتسمع خلف الجدران
أكسو وجهي جيرا ، أو أبلع نارا ..
وأقدم ألعابي في مقهى الحشاشين
قد أتسقط كلمه
أو أتبع خيطاً يفضي للسر
قد ينفتح أمامي باب أو سرداب
أوضي منه للأمر المجهول
أنظر ،
ها نحن الآن
رجل سوقيٌّ عاديٌّ من أهل الوادي
وأنا عشري السترة ذاتُه
أجلس جنبك
كتفانا مُلصقتَان
نتحدث مثل الأصحاب
فلعلك تفضي لي بالسر

هل أدركت الآن كم الامر خطير

يستدعي إنكار الذات

الراكب :

جدا .. يا مولاي

عامل التذاكر :

هل أنت على استعداد أن تصنع شيئاً من أجلي
من أجل الوادي

الراكب :

بل من أجلك يا مولاي
دعني أبحث عنه معك

عامل التذاكر :

تبحث عنه معي ..؟

الراكب :

إسمح لي يا مولاي

عامل التذاكر :

ها هوذا

الراكب :

من ..؟

عامل التذاكر :

أنت ..!

افهمني أرجوك

كان الأمر حبيساً لا يعرفه إلا بضعة أشخـــاص من خلصائي

حتى انتشر النبأ الفادح

وصل إلى أعدائي
وتسرب منهم للعامه
ولهذا لا يتسع لنا الوقت الآن
لنُميِّزَ بين الصادق والكاذب
لا بد من الحسم
لو لم أفعل لاختل نظام الوادي
إني أعرف ما أفعل
سأقول لهم في صحف الغد إني نفسي
قد أمسكت الجاني ،
وقتلته
وساعرض جثتك وصورتك على الناس
إنك رجل طيب
مخلوق من أنبل طينه
أهل للتضحية الكبرى
أنت على استعداد أن تصنع شيئاً من أجلي
هل تذكر ..؟

دعنا من هذا الموضوع الآن
نتداول فيه فيما بعد
أسألك سؤالاً لتجيب جواباً يتفق وذوقك
هب أن أمامك أربع آلات للموت
السوط ...

الراكب :

لا .. لا ...

عامل التذاكر :

لا يتفق وذوقك
أنت على حق
هذا أسلوب هَمَجي متخلف
تيمورلنك الهمجي !
ما رأيك في السم

الراكب :

لا ... لا ..

عامل التذاكر :

لا يتفق وذوقك .. أيضاً
أنت على حق
أسلوب ممزوج بالخِسّةِ والغدر
أسلوب الديتشي
ما رأيك في الغداره
لا .. لا .. أنا نفسي لا أهواها
قتل عن بعد ، دون ملامسةِ محمومه
أسلوب عصري مبتذل ،
لعب صغار جُبَناء
يحتاجُ الموتُ إلى أسلوب تقليدي ،
يحفظ رونقه وجلاله
آه .. الخنجر ..

الاسكندر ...

معذرة .. يا عبده

يا أنبلَ مخلوقٍ صادفته

فليمسسك الخنجر ...

فليدخلك الخنجر

يطعنه بالخنجر

الراوي :

لا أملك أن أتكلم

وأنا أنصحكم أن تلتزموا مثلي

بالصمت المحكم

الراكب :

آه ...

لكنا لم نتداول بعد

عامل التذاكر :

نتداول فيما بعد ..

الراكب :

أقسم أني .. لم أقتل .. لم أسرق
أقسم ... أقسم ...

عامل التذاكر :

أعلم هذا يا أنبل مخلوق
هل تدري من قتل الله ،
وسرق بطاقته الشخصية
لا ، لن أكشف أمره
لكن .. لا بأس
افتح عينيك لآخر مره
أنظر آخر نظره

« يفتتح العامل السترة الملاصقة للجلد ،
ومن بين جلده وثوبه يخرج البطـــاقة
البيضاء ، ويلوح بها أمام عيني الراكب
المحتضر الذي يسقط ميتاً بعد نظرته
الأخيرة »

عامل التذاكر :

آه .. كيف سأحمل جثة هذا الرجل الممتلئه

متجهاً إلى الراوي :

ساعدني يا هذا

احمله معي

الراوي :

متجهاً إلى الجمهور

ماذا أفعل

ماذا أفعل
في يده خنجر
وأنا مثلكمو أعزل
لا أملك إلا تعليقاتي
ماذا أفعل !
ماذا أفعل ؟

« النهاية »

«تذييل»

لو كان لي أن أُخرج هذه المسرحية – وهذا فرضاً سأعود اليه فيما بعد – لقدمتها في إطار من « الفارس » إذ أنني أريد للمتفرج أن يخشى عامل التذاكر ضاحكاً ، وأن يشفق على الراكب ضاحكاً ، وأن يحب الراوي ويزدريه ضاحكاً كذلك .

فلست أريد في هذه المسرحية أن أقدم أشخاصاً بقاماتهم الصحيحة السليمة ، ولكني أريد أن أقدم نماذج ، وهي ليست نماذج من الناس ، بقدر ما هي نماذج من البشرية . واتخاذ النموذج أساساً للعمل المسرحي يعني درجة من التجريد ، تماماً مثل الفكاهة أو النكتة ، حين تجمل محورها

نموذجـــاً يواجه نموذجاً آخر ، فتكشف بهذا التجريد لب التناقض .

وقد خطرت فكرة هذا العمل ببالي ، ووقفت بين أن أجعلها قصيدة ، أو حوارية ، أو عمـــلا مسرحياً ، وحين آثرت الشكل الأخـير تبدت لي بضعة مشكـلات ، ومن الحق أني لم أمعن التفكير فيها قبل الكتابة ، فمـا هذا من دأبي ، ولكن الكتابـة قد جلت حلولهـا ، التي ربمـــا كانت مستكنـة في مكان مـا من عقلي ، فانكشفت على الورق .

وحين قرأ بعض الأصدقـــاء هذه المسرحية كاشفوني بآرائهم التي وجدت في معظمها صدى للمشكلات التي عهدتها قبل الكتابة ، وتبلورت هـذه المكاشفات في هيئة أسئلة ، كان أولها :

— لماذا الشعر ؟

الشعر لأن المسرحية ظلت تكتب شعراً عمرها كله ، فيما عدا القرن الأخير ، ولأنها تحاول أن تعود في سنواتنا الاخيرة إلى النبع الذي انحدرت منه ، وقد أسعفها على العودة ذلك التغير في مفهوم كلمة الشعر ، إذ لم تعد كلمة مرادفة للنظم ، بل أصبح بين الشعر والنظم مباينة أعمق من المباينة بين الشعر والنثر ، فالخلاف بين الشعر والنثر خلاف شكلي ، أما الخلاف بين الشعر والنظم فهو خلاف في الرؤيا والاقتراب والتحقيق .

ولكن قضية الشعر والمسرحية ليست قضية جاهزة ، بل هي قضية خصبة مشتبكة الأفرع ، أنبتت وستنبت ألواناً من التفريعات . فمن السهل أن نتحدث عن شعرية المسرح أو شاعريته عند « إليوت » و « ييتس »

و « كريستوفر فراي » و « أودن » و « ماترلك » و « بيكيت » و « شحاده » وغيرهم . ولكننا لو تتبعنا مفهوم العلاقة بين المسرحية والشعر لوجدنا فيما بينهم اختلافاً شاسعاً لا يقل سعة عن الاختلاف بين كتاب المسرح النثري . والاختلاف هنا هو في دور الشعر . أهو حالة أم أسلوب أم جلبة . بل إن في ظلال المؤلف الواحد ألواناً من الاختلاف ، كما هو الشأن في « إليوت » . فإن « جريمة قتل في الكاتدرائية » مسرحية مكثفة ، غنية بالإيقاعات ، جليلة بشخصياتها المنمذجة ، بل هي عودة بالمسرح إلى حالته الأولى كطقوس كلامية مصاحبة للطقوس الحركية . بينما يحاول إليوت في مسرحياته التالية ، وبخاصة « حفلة الكوكتيل » وما بعدها أن يجعل من الشاعرية إطاراً عاماً للعمل الفني ، مع قدر قليل من الإيقاعات يهب اللغة نفحة من السمو ، تخفى أحياناً حتى ليخفي على المتفرج أنه يسمع شعراً .

وقد يكون لذلك علاقة بالأشخاص الذين يختارهم المؤلف ليجري بينهم أحـــداث مسرحيته ، ولا أدري أي وهم فني رسّخ في نفوسنا ، أن السادة في الحياة سادة في اللغة ، وأن عامة الحياة عـامة في اللغة ، ولكن هكذا جرينـا ودأبنا بتأثير النزعة الطبقية التي بلغ من عمقها في وجدان الانسانية أن اشتقت منها كلمة « كلاسيكية » دلالة على الأجود والأنقى والأكمل . والواقع أن اللغة قادرة على أن تسمو وتنقى بتأثير المواقف ، لا بتأثير المكانة الطبقية للأشخاص .

ولنعد إلى اختلاف شعراء المسرح الواسع ، ولنتجـاوز إليوت لنجد شاعرية رمزية تعمد إلى الإيماء والإيحاء أكثر مما تعمـد إلى الكشف عند الفرنسيين وكتّاب الفرنسية ، بينما نجد أن كريستوفر فراي يعمد إلى الشعر كوسيلة لاستيعـاب الجناس والطباق والمقابلة ؛ بحيث يـذكرنا أسلوبـه الشعري بأسلوب أوسكار وايلد في النثر ، وإنه لأسلوب جميل .

ليس هناك إذن مَشرعٌ واحد للشعر المسرحي ، حتى عند أولئك الذين رسخت التقاليد الشعرية والمسرحية في آدابهم . أما نحن العرب ، فأغلب ظني اننا ما زلنا نتلمس الطرق . وقد كانت مسرحيتي هذه حرية بأن تكتب نثراً . ولكني كنت أظن أنها عرضة لأن تفقد الكثير .

فالتفعيلة التي اخترتها أساساً موسيقياً لهذه المسرحية تفعيلة بسيطة ، ولكنها شديدة الايقاع ومناسبة في وقت واحد . إنها التفعيلة التي آثرها المدّاح الشعبي في قوله « الحمد لرب مقتدر » وهي تعتمد على توالي الحركة والسكون ، مع لون من التنويع يعرفه من يعرفون الاستماع إلى الموسيقى وتبين الهيكل العظمي للحن أو جملته الموسيقية ، والخروج المشروع عنها .

ولكن هذا هو أهون ما في الأمر ...

إن التفعيلة هي الوعاء ، فلنسأل عن محتواه ، وأظنني

أجاوز الحقيقة كثيراً لو زعمت أن مسرحيتي غنيـــة بالحيل الشعرية القديم منها والحديث ، وأقصد بالحيل هنـــا معنى شريفاً ، فالحيل الشعرية هي التشبيهـــات والاستعارات والكنايات كما عرفها العرب ، وهي أيضـــاً ألوان أخرى من البلاغات الحديثة ، مثل بلاغة استحثاث الخيال واستثارتـه بالإيحاء ، وبلاغة التكثيف حتى لتختصر التجربة الانسانية في سطر أو سطرين يتميزان بالصقل والتجويد ، وبلاغة الترسل الذاتي حين يستثير موقف ما ، الشخصية المسرحية فتنطلق تنفض ذاتها في مونولوج مجوّد معمق غني بالإيحاءات ، ولكنني كنت حريصاً على أن أبتعد عن هـــذا كله إلا ما اقتضتـه الضرورة ، فقد اهتديت إلى أمرين حرصت عليهما :

أولهما : أنني أريد أن أتصور هؤلاء النـــاس لو نطقوا شعراً .. في موقف كموقف مسرحيتي ، فمـــاذا يقولون ؟

وثانيهما : أنني أريد عندئذ أن أسبغ حالة شعرية على مسرحيتي لا أن أكتب شعراً يستطيع أن يقف على الخشبة .

وقد قلت في فاتحة حديثي أنني لو أخرجت مسرحيتي لجعلتها كوميديا في الأداء قد تتحول إلى فارس أو « مسخرة » كما يترجمها المجمعيون . « ولو أخرجت » هذه تحتاج وقفة ، فأنا أؤمن أننا – نحن الشعراء الذين نكتب للمسرح – قد أهملنا تقليداً جليلاً ، وهو أن نكون كتاباً ومسرحيين في ذات الوقت ، كما كان أسلافنا منذ أسخيلوس حتى شكسبير ، وقد نتج عن تراخينا في أداء واجبنا أن دخل إلى المسرح ، ووقف بيننا وبين النص عديد من الوسطاء ، أهمهم المخرج .

وهذه المسرحية في رأيي « كوميديا » رغم أنها تنتهي بفاجعة ، فهي إذن لون من الكوميديا الداكنة أو السوداء .

والشعر في الكوميديا يختلف عنه في التراجيديا والدراما .
حتى عند شكسبير ، اكثر شعراء المسرح شاعرية .

●

السؤال الثاني :

ما شأن اللغة هنا ؟

فالقارىء قد يشهد هنا ألفاظاً لم يعتدها في الشعر ، وقد وقفت أنا كثيراً تجاه بعضها يتجاذبني عاملان ، عامل الابقاء عليها لأنها هي الألفاظ التي تحمل الدلالة التي أريدها ، وعامل اسقاطها أو تغييرها لأن فيها شبهة ركاكة أو عامية . ففي المقطع الثاني من حديث الراوي نجد عبارة « فالأمر بسيط .. » وأنا لا أحب أن أستعمل كلمة « بسيط » بهذا المعنى ، بل أوثر معناها القديم كإحدى صيغ « مبسوط » بمعنى ممهد مستو ، ولكن الكلمة قد انتقلت من هذا المعنى

إلى معناها الجديد ، كما انتقلت كلمة سهل من معناها كأرض منبسطة ، إلى معنى اليسر والوضوح والاستواء في شرع الفكر لا في رؤية العين .

وحين يمضي القارىء في المسرحية سيجد ألفاظاً وصيغاً أخرى لم تجرِ العادة على استعمالها في الشعر ، مثل « عواميد السكة – حديد الأرضية – وجه في إعلان – البرميل الأسمر – يتركني في حالي – قال في نفسه » إلى غير ذلك مما هو قريب منه .

أبقيت على هذه الألفاظ لأني أؤمن أن لكل عمل فني بلاغته ، ولأني وجدت أسلافنا من كتاب المسرح حين يكتبون الكوميديا يترخصون في الجلال لصالح التعبير، ولأني كما قلت كنت حريصاً على شاعرية « الحالة » لا شاعرية الأداء . وقد رأيت أن عدّ أعمدة السكة ، ولعب الرجل في

ذاكرته ، وسقوط أيامه من عينيه لكي يستعرضها أمامه ، ومداعبته للمسبحة بأصابعه ثم بحثه عن حباتها ، كل ذلك مرادفات عصرية لحالة الملل والحيرة التي يقاسيها الرجل ، وأظنها أوضح تعبيراً من الكليشيه المأثور « يضرب أخماساً في أسداس » ، وأظنني لو قلت كما قال ذو الرمة — أو كما قال :

عشية مالي حيلة غير أنني
بلقط الحصى والخط في الترب مولع
لما بلغت من تجسيد حالة الراكب شيئاً .

•

من الراوي ؟

أنا في منطق الفن ، فالراوي هو البديل للجوقة التي عرفها المسرح الاغريقي ، وأنا أعد الجوقة فتحاً مسرحياً ، ينبغي ألا يغلق بابه ، وجزءاً من العمل المسرحي ينبغي أن نحرص عليه من التآكل والسقوط ، وقد أوشكت الجوقة أن تنقرض من المسرح بتأثير هذه النزعة إلى عد المسرحية عملا روائياً يستبدل السرد بالحوار ، ومن لا دور له من الشخصيات المحددة لا حق له في الكلام . لقد أوشك المسرح الطبيعي أن يقضي على الجوقة . ولكن المسرحية ليست عملا روائياً موزعاً على شخصيات ، بل إن المسرحية

الجيدة قد لا تحوي حكاية جيدة ، بل قد لا تحوي حكاية ما . وليس القصد فيها هو الحكاية ومفاجآتها ، وإلا احتضر المسرح الاغريقي عند ولادته إذ أن كل حكاياته كانت معروفة سلفاً عند متلقيها . لقد فرق ييتس في مقدمة إحدى مسرحياته بين فنون الخيال ، وفنون الواقع ، أما فنون الخيال كالشعر والعبادات الشعائرية والموسيقى والرقص فهي لا ترتبط بالحدث ارتباطاً مباشراً ، بل هي تحوله إلى مشاهد ملهبة للخيال ، إذ تنفصل عن عالم الواقع لتغوص إلى غور من أغوار العقل كان من قبل مجللاً بالغموض الذي يخيف القاصدين . أما فنون الواقع فهي مجموعة من الصور الفوتوغرافية الدقيقة في إطاراتها المذهبة أو العارية .

المسرحيه المكتوبة هي الكلمة سيدة وحاكمة ، وعلى الخشبة أن تخضع لها ، وإذا كانت الكلمة واجبة وموحية ، فمن حقها أن تقال في المسرحية حتى ولو علقت كشعار فوق

الخشبة ، أو طاف بها المنادون في أروقـــة المسرح وبين صفوفه .

ولكن مالي وهذا القول ، وأنا أعتقد أن الراوي شخصية رئيسية من شخصيات مسرحيتي ، فهو بديل للجوقة كما قلت ، أذ أنه يوضح ويعلق ويشير . هذا هو أهون أدواره ، أمـا دوره الرئيسي فهو ممثل لكل من هم خارج المسرح ، لذلك فهو يقف على حافته . إن على المسرح جلاداً وضحية ، ولكن هناك آخرين ليسوا جلادين وليسوا في الوقت ذاته ضحـايا (لوقت ما .. ربما) فما هو موقف هؤلاء ؟ إنهم يضحكون ويمرحون بالـكلمات ، وينـثرون ذكاءهم الرخيص ، ولا يستنكفون أن يساعدو الجلاد على حمل جثة الضحية . إنهم ظرفاء العصر وأوباشه .

●

منذ خمس سنوات التقيت بالمسرحي العظيم « يوجين اونسكو » في مسرحية الكراسي ، حيث كان يعرضها مسرح الجيب القاهري ، وما كاد العرض ينتهي حتى كنت قد انتويت أن أدخل عالم هذا الكاتب العظيم ، وسعيت إليه من خلال معظم أعماله . وكتبت في مذكراتي الشخصية عندئذ أن اكتشاف عظمة أونسكو كان من أحلى الاكتشافات التي عرفتها في حياتي . وأضفته إلى ذخائري كما أضفت شكسبير وأبا العلاء المعري وتشيكوف من قبل ، ولست أعني بالاكتشاف أني كشفت سراً ، ولكني أعني أني فهمت هؤلاء السادة العظام فهمي الخاص ، واستطعت أن أقترب منهم بحيث بدا لي منهم جانباً عرفته بنفسي وآثرته

دون أن أستهدي بحديث النقاد والمفسرين . لقد حدثوني حديثاً مباشراً وودوداً من خلال إبداعهم العظيم .

ومرت السنوات ، وكتبت مسرحيتي مأساة الحلاج ، وكان فيها عودة – كما تصورت – إلى ينبوع غرامي المسرحي الأول ؛ الاغريق ، أين كان أونيسكو عندئذ .. لا أدري . فقد خلت مأساة الحلاج من كل شبهة معاصرة في البناء المسرحي ، أو خروج عن مألوف الدراما الكلاسيكية ، ولكني حين كتبت هذه المسرحية ، وبدأت أنظر فيها بالعين الناقدة ، وجدت فيها ما تمثلته وأحببته عند غرامي الأخير ، يوجين أونيسكو .

لقد ظلمت كلمة اللامعقول حين ألقاها بعض نقاد المسرح الحديث كثيراً . إنه ليس مسرحاً لامعقولاً ، بمعنى أنه مجاف للعقل ، ولكن بمعنى أنه مجاف للقوالب العقلية المسماة بالمنطق. ومن هنا فهو يخضع للعقل العام ، وحتى كلمة « العبث »

تبدو كلمة مخيبة للثقة ،من يستطيع أن يعبث في هذا العصر الذي نعيش فيه ، حتى ولو كان ذا نفس عابثة . لنميزه إذن باختلافه عن سبيل منطق العقل إلى سبيل روح العقل .

صلاح عبد الصبور

ليلى والمجنون

١٩٧٢

الفصل الأوّل

المنظر الاول

غرفة تحرير في احدى المجلات الصغيرة التي كانت تصدر بالقاهرة قبل عام ١٩٥٢ ، في الغرفة مجموعة من المكاتب والمقاعد ، ومائدة اجتماعات . على الجدران صور لبعض قادة النضال القومي . وعلى الجدار المواجه للمائـدة لوحة دون كيشوت لدوميييه ..

الاشخاص : (سـعيد ـ حسان ـ زياد ـ حنان) .

سعيد : « وهو يمد امامه بعض صحف اليوم »

انظر .. حسان
اسلوب كالطرقات المتعرجة الوحله
يتسكع فيه فكر مخمور متعثر

حسان :

أرجوك ، سعيد ..
كف ، ولو يوما ، لا غير
عن صوغ الكلمات وحبك الشعر
حقا هذي صحف القصر وأبواق المستعمر
لكن ما أجملها لو قارناها بصحيفتنا المحتشمه
الرافعة لواء الطهر

زياد :

هم يجتذبون عيون القراء
باشارات الكلمات البراقه
والقارىء قد يقرؤهم ، قد يهوي في شرك الاغراء
لكن لا بد وان يلعنهم اذ يطوي الصفحات

حسان :

الارقام تحدق في وجهك .. أزياد
ساخرة قد مطت شفتيها في استهزاء

نحن نوزع بضعة آلاف

وصحيفتهم عشرات الآلاف

أما اللعنه ..

فأنا أعرفهم يستجدون سحائبها كالمؤمن اذ يستجدي البركه

وشعارهم المعتاد

اقرأنا ... والعننا

لكن لا أحد يلعنهم في علن أو في سر

انظر .. سطح من أفكار رخوه

كالطحلب فوق شطوط البحر

والقراء يحبون الاسترخاء عليها

يلتذون بشم العطن المتخثر

كمريض يتشمم خدرا من كف طبيب دجال

ويضيقون بنا اذ نلقي بهمُ في غابة صبار
لنجرب شيئا غير الكلمات

سعيد :

ماذا نملك الا الكلمات
هل نملك شيئا افضل ؟

حسان :

ما تملكه يا مولاي الشاعر
لا يسقي عطشانا قطرة ماء
لا يطعم طفلا كسرة خبز
لا يكسو عري عجوز تلتف على قامتها المكسورة
ريح الليل
لا بد من الطلقة والطعنة والتفجير
إني احمل هذا في جيب

« يخرج قلما »

حتى أتسكع معكم بين رياض الكلمات
الى ان يأتي الوقت
لكني أحمل هذا في جيب آخر

« يخرج مسدسا »

حنان :

ارفع هذا الشيء المزعج عن عيني حسان
ولنتحدث في الشعر ،
فالشعر أخف الاضرار
في العدد الاسبوعي من الازهار اليوم قصيده
في مدح الملك الصالح
للشاعر كامل طلعت
وهو يقول ...

سعيد :

لا .. لا .. أرجوك حنان
لا تمتهني الشعر ، فما هذا الا كذب منظوم

حسان :

انا لا يشفي نفسي الا اقرأ هذا الشاعر
بل يشفي نفسي الا يكتب حين تطير ذراعه

« تدخل ليلى »

ليلى : « وهي داخلة » ...

أي ذراع تتمنى لو طارت ... حسان

حسان :

كل ذراع لا تحمل قنبلة يدويه

زياد :

أهلا ... ليلى

ليلى : « وهي تجلس » ..

أهلا .. كيف الحال ايا فرسان المستقبل

حسان :

لا .. بل هم فرسان المتحف

زياد :

رفقا حسان
ما تذكره ليس هو الثوره
الثورة أن تتحرك بالشعب

حسان :

ماذا .. الشعب ..
اني لا أعرف معنى هذه الكلمه
لكني أعرف معنى البيت ، ومعنى الثوب ، ومعنى اللقمه
أعرف معنى وجد امرأة هرمه
تنتظر بقلب ذائب
أن يرتفع الدلو بعائلها من بئر السلطة
أو أن يتثاءب باب السجن عن الولد الغائب .

ليلى :

حسان
ما أخبار حسام ؟

هل زرتَ قريبا أمه ؟

حسان :

تلهو الشرطة بحسام كما يلهو المجنون بدميه

والقلق يحطم أمه

سعيد :

لم يسعدني حظي بلقاء حسام

ليلى :

جئتَ هنا في اليوم التالي للقبض عليه

سعيد :

لكني كنت قرأت له موضوعا أو موضوعين

لم يك يستهويني اسلوبه

كانت فيه نفس الرنه

رنة أسلوبك يا حسان

أسلوب يستأصل ، لكن لا يلقي بذرا

حسان :

ستظل مريضا بالاسلوب الى ان تدهم هـذا البلـد المنكوب

كارثة لا أسلوب لها

ولقد تنسى عندئذ حين توزع ريح الكارثة المجنونه

نار النكبة كبطاقات الاعياد

ان تنقذ بضع قصاصات من شعرك

ولقد تتوسد كومته قدما الجلاد

وهو يدحرج في أسلوب همجي

هذا الرأس العامر بالاسلوب

سعيد :

آسف ... حسان

لم أك أعني اغضابك حين ذكرت حسام

حسان :

وأنا لم أغضب

لكن ...

« تدخل سلوى » ..

سلوى :

طبعا ، تلتهم حناجركم نفس الطبق اليومي الساخن
نفس الجدل الممتد كحبل ، تشنق فيه ..
الساعات الاولى من كل صباح

حنان : الله ... الله .

أبشر حسان
جاءت شاعرة أخرى
تشبيهان بليغان بخيط واحد
لا بد إذن ما دمتم كلكم شعراء
أن أقرأ رائعة العدد الاسبوعي من الأزهار
فأنا في الحق
يملؤ قلبي الاعجاب
برقاعة شاعرها الكذاب

سلوى :

لا •• لا •• أرجوك حنان
غشيت نفسي بقراءتها قبل مجيئي الآن

« تنتزع الجريدة من حنان التي تتمسك بها ، حتى تتمزق بينهما قطعا ، حنان تقرا مـن قطعة بقيت معها »

حنان :

لا •• بل أقرؤها ، أرجوك
سلوى •• انتظري •• هذا مطلعها
ملك أطل على الوجود بهاؤه ••

سلوى :

« وهي تنزع الورقة »
لن أعطيك الفرصة

زياد :

بل لن يسعفها الوقت
هذا ميعاد تجمعنا الاسبوعي ، العاشرة تماما

والاستاذ سيدخل في لحظات

(بلهجة من ينادي شخصا ما)

ادخل يا أستاذ

« يدخل الاستاذ ، وكانه يستجيب لنداء زياد » .

الاستاذ :

صباح الخير

المحررون :

صباخ الخير

« يجلس على راس المائدة ، بينما يجلس حوله المحررون »

الاستاذ :

هذا ميعاد تجمعنا الاسبوعي

واليوم .. أحدثكم بحديث قد يختلف قليلا

عما اعتدتم من قبل

... من بضعة أشهر

ومجلتنا تتألق كالوشم الناري على ساعد هذا البلد

الممتد

أسد لا يحمل سيفا ،
بل يحمل بوقا يصرخ في صحراء الزمن اليابس
كي يحيي جثث المرضى المتكئين علــى سرر البلوى
والخوف المقعد
الملتفين بأسمال اليأس كما تلتف البذرة ..
في قشر الموت الاسود
من بضعة أشهر
وكتيبتها تتقدم في أفق الليل المربَّد
حاديها نجمان مضيئان بعيدان

الحرية والعدل
ينصب شعاعها في أعيننا ، فيثير جنونا كجنون العشاق
يتحول ما يتكسر مــن نورهما موجا تنحدر عليــه
الاشواق
نحو المستقبل

المستقبل
الزمن الآتي بالنجمين الوضائين على كفيه
الحرية والعدل
الزمن الكاسر للذلة والظلم كما تنكسر زجاجة سم
تتفرق شظيات لا يلتئم لها شمل
الزمن المطلق للانسام لتحمل حبات الخصب السحريه
وتفرقها في أرحام حدائقنا الجرداء المختومة بالعقم
وأنا حين اخترتكم من بين شباب الكتاب
لتصلوا جنبي للزمن الآتي كي ينكشف ويتقدم
كنت ــ حزينا ــ أعلم
أني أسلبكم أياما ماثلة كي أعطيها للحلم
حلم قد لا نشهده ، خلجان قد لا نرسو فيها
رغم محبتنا للمدن الدافئة النائمة ببطن الخلجان
رغم أحبتنا ، وضعوا الشمعة في الشباك ،
وناموا في اطمئنان

في أعينهم ذكرانا كملائكة رحلوا كي يأتوا بالغد
كي يأتوا بالمستقبل
حلم قد لا نشهده
ظل قد يبلعنا الرمل ، ولا نرقد في رغوته الرطبه
ونظل ظلالا في أفق الصحراء
حتى تتبدد في صفرتها الباهتة الملساءِ ،
عظاما باهتة صفراء

زياد :

معذرة يا استاذ
هل لي ان اقطع حبل استرسالك

الاستاذ :

قل ما يحلو لك

زياد :

في صغري كان أبي يرحمه الله ، ويبقيك الى أن تشبع من أيامك
لا يتردد في ضربي اذ اقطع حبل حديثه

لكني ما كنت أطيق الصبر
اذ كنت ذكيا ـ من يومي ـ ..
أتوقع ما سيبعثره من در
وخصوصا ان عاوذه داء كان يعاوده مرات خمسا في اليوم

حنان :

ما اسم الداء ؟

زياد :

داء الحكمة
عندئذ كنت أعالجه بالكلمات فكان يعاجلني باللكمات

الاستاذ :

لن ألكمك ، فقل

زياد :

أعرف انك سوف تقول
والآن ...

يا أصحابي الشجعان
يشتد علينا سيف السلطان وذهب السلطان
وأطالبكم أن تقفوا جنبي
لا أخشى أن يصرعكم سيف السلطان
لكني أخشى ان يفسدكم ذهبه

حنان :

زياد
لا تتظرف ، هذا كان حديث الاسبوع الماضي
إن كنت مصرا ان تبدي خفة ظلك
أنبئنا كي نضحك ...

زياد :

حقا ، هذا كان حديث الاسبوع الماضي
لكن هل جد جديد في دورة اسبوع
ما زال القصر هو القصر
والاستعمار الاستعمار

والاستاذ •• الاستاذ
وزياد المجنون زياد
وحنان العاقلة •• حنان

الاستاذ :

والآن ، وقد استعرضت ذكاءك للزملاءِ ،
كما يتعرض للمارة عريان
هل لي أن أتكلم ؟

زياد :

لك •••

الاستاذ :

لم ألحظ ما سوف أكاشفكم به
اليوم أو الامس
بل أورق في نفسي هجسا ونما احساسا حتى مد ظلاله
حتى أصبح رؤيا تتمثل في أوجهكم كل صباح
حين ألاقيكـــم في منحنيات الدرج العاري ،

منطلقين كما ينطلق السهم الاعمى
أو أنظركم فوق مكاتبكم
متكئين كما يتكيء السعف الاخضر فوق الماء الراكد
أيام الاسبوع تمر ، ويهوى نجم الليـــل المرهق في
فجر الغد
وعيونكم شاخصة ، حتى يكمل أسبوع دورته ،
شهر ، شهران
والايدي تحفر في الاوراق ، وتهبط بالاوراق
تلقيها في فم مطبعة جوعى
ثم تمج المطبعة الاوراق ، لتلقيها للقراء ،
تتضور بعدئذ جوعا
وتمد الايدي للاوراق ، لتبدأ نفس الدوره
لا نحكي الا كلمات متقطعة كاشارات البرق
ثم يقطب كل منا وجهه
ويدير المقعد كي ينكفيء على ذاته

أو ينكب على مكتبه حتى تندمج الكتلة والانسان •

زياد :

عذرا ، لكني لا أملك أن أسكت
هل يعني هذا انك تمنحنا عطلة
الله ، سأقضيها في النوم
ممدودا في جوف سريري حتى تندمج الكتلة والانسان
عني ، عن أمي ، عن جدي يرحمه الله
قال :
من نام فشنف فمات
مات شهيدا ، وتحول في أعطاف الجنة مصطبة يتكىء
عليها رضوان

الاستاذ :

لا •• لا عطله
بل شدو وغناء
ستغني مجموعتنا كي تتمارف

اذ تندمج الاصوات وتتآلف ..
نلقي عن أوجهنا أقنعة العمل المعقوده

زياد :

هل يعني هذا انا سنكوّن فرقة رقص وغناء
ما أحلاها من فكره
اسمع
« أراك عصي الدمع شيمتك الصبر ..
هل يعجبكم صوتي ؟

الاستاذ :

بل فرقة تمثيل
يكفي أن تتجمع ساعات معدوده
في يوم أو يومين من الاسبوع
وبعيدا عن جو العمل الصحفي
كي نجري تجربة الادوار
فاذا اتقن كل منا دوره
قدمنا حفلا ندعو فيه بعض الأصحاب الخلصاء

والآن

فلنتخير عملا فنيا نبدأ به

زياد :

، رلبير

الشيخ متلوف

فلدينا منه ألوف ، وألوف

حنان :

لا ، بل إحدى كوميديات الريحاني

حسان :

لا يعجبني الموضوع جميعه

فأنا أتخيل أنا لا نحتاج الى ان نضحك أو نمرح

ضحكت هذي المدن المتبلدة الحس

خمسة آلاف سنة

ضحكت حتى استلقت ميتة فاتحة فاها

كالجرح الصديان
ظننت وخز الايام النحس
دغدغة حنان
انا نحتاج الى ان نغضب

سعيد :

هذا حق .. حسان
لكن قل لي ...
ماذا نفعل في هذي الغرفة كل صباح
إلا أن نشعل نار الغضب الحمراء
ونظل ندور حواليها ، وندور ، ندور ..
كمجذوبين الى ان يتملكنا الاغماء

الاستاذ :

لن نضحك أو نغضب
ما رأيكم في قصة حب
أتذكر انا مثلنا في صغري قصة شوقي الحلوه
مجنون ليلى

أتذكر ــ ما زالت ــ مشاهدها ومناظرها
وبما أني المخرج
فأنا أختار النص

زياد :

لم أك أتصور يا أستاذ
أنك رومانتيكي حتى هذا الحد
لكن لا بأس
فالرومانتيكية واهنة احيانا كالزبد الطافي فوق الموج
غاضبة احيانا كالطوفان الهائج
لكن .. مجنون ليلى
أعلى درجات الرومانتيكية
لا أرضى الا ان قمت بدور المجنون

الاستاذ :

سيقوم سعيد بدور المجنون ...

زياد :

لا بأس
فليذهب بالشهرة والمجد
لكني سأنافسه في ليلى
انا ورد

الاستاذ :

لا .. حسان هو ورد
فله سمت العقلاء ومظهر اولاد الناس
وهو فدائي ، حتى في الحب
هل ترضى يا حسان

حسان :

سأحاول يا أستاذ
ولو اني لا يعجبني الموضوع جميعه !

سعيد :

لكني لا أرضى يا أستاذ

فأنا لم أعل الخشبة قط

زياد :

لا تفزع
فستدخل فيها حين تموت
أو تعلوها اذ تشنق

سعيد :

لا .. لا .. انا لا اصلح للدور

حسان :

لا ، بل إنك انسبنا للدور
اذ وجهك يصلح للاغماء
وتجيد الشعر

سلوى :

وتجيد الحب

الاستاذ :

من ليلى ؟

سلوى :

ليلى هي ليلى
وهنالك عشرة أسباب تجعلها أنسبنا للدور
منها خمسة أسباب ظاهرة كالشمسِ ..
وخمسة اسباب لا يعرفها الا سلوى

زياد :

او قيس

الاستاذ :

كفا عن عرض ذكائكما المتوقد
ليلى
أقبلت الدور ؟

ليلى :

لا أدري يا استاذ
فلعلني آخر من يتحدث
فأنا لا أعرف نفسي بعد

الاستاذ :

لا ، بل انك ليلى
روح ضائعة بين الواقع والحلم

زياد :

هل تنساني عمدا يا استاذ

الاستاذ :

لا ، بل انت زياد صاحب قيس

زياد :

وا أسفاه
حلت بي لعنة هذا الاسم

الاستاذ :

والآن ... سلوى

« يدخل الحاج على عامل المطبعة ، وفي يده سلخة لم تجف بعد . »

الحاج علي :

معذرة يا استاذ !

الاستاذ :

ماذا يا حاج

هل منعوه كالعادة

الحاج علي :

اكتب موضوعا آخر

الاستاذ :

هذا ما كنت أظن

أرجوكم أن تمضوا في توزيع الادوار

جلستنا الاولى بعد غد في نفس الموعد

هيا يا حاج علي

لنرى ما يمكننا عمله

هيه ... ماذا أكتب

فلأكتب في الحب

الا إن كان الحب مثيرا لحساسية القانون

لا اتوقع !نهو قد منعوه بعد

زياد :

لا ، بل منعوه

اسمع يا استاذ

(يقرا في احدى الصحف المنشورة امامهم)

« لمحت عينا شرطي شابا وفتاة في احـــدى المنحنيات الخافتــة الضوء ، فترصـــد لهما حتى امتدت كف الشاب تداعب كف صديقتـــه • فانقض كما ينقض الصقر ، وساقهما للمخفر » •

ويضيف الصحفي :

ونحن نحيي لرجال الامن مرؤتهم وحماستهم للخلق الطيب ، فالامم بـــلا أخــــلاق لا تبقى او تتقـــدم ، والاعراض أمانة ، تحميها الشرطة من عبث الانذال •

بل إنا نتمنى لو خلت الأمة من داء الفرنجة الطارىء
مثل القبعة ولبس المايوهات •• »

الاستاذ : « مقاطعا »

عبث ، والأيام تجد
لا ادري كيف، ترعرع في وادينا الطيب
هذا القدر من السفلة والاوغاد ؟

حسان :

يا استاذ
لا تكتب في الحب
اكتب في النقمة والبغضاء
هذا عصر البغضاء
لا تنسى •• اكتب في البغضاء •

« ستار »

المنظر الثاني

حول مائـدة الاجتماعات ـ بروفات تمثيل
(الاستاذ ـ سعبد ـ زياد ـ حسان ـ ليلى)

الاستاذ :

والآن
دورك يا ليلى
لم نتقن هذا المشهد بعد

ليلى

أحق حبيب القلب أنت بجانبـي
أحلم سري أم نحـن منتبهـان

389 / 530

أبعد تراب المهد من أرض عامر
بأرض ثقيف ، نحن مغتربـان

الاستاذ :

حسن جدا
في كل امرأة عاشقة بالفطره

زياد :

وممثلة بالفطره

ليلى :

خير لك ان تتقن دورك ..

زياد :

لا اعرف لي دورا حتى الآن
شبح يبحث عن جسم يسكن فيه
في لعبتنا ، أنا ظل أو راوية يحكي ما انشده صاحبه الموهوب
أما في لعبتنا الكبرى ، ما يدعوه العقلاءُ

حياة أو أياما أو مستقبل
فأنا .. أنا لا شيء
رجل يهرب من صورة طفل

حسان :

سيذكرنا بطفولته التعسه
مجروح يستعرض جرحه

زياد :

أرجوك
دعني أستعرض جرحي ، لكن لا تستعرض أحقادك

حسان :

أحقادي ... هه
اني أرثي للضعف وللضعفاء
تغثي نفسي كلمات الذله
لا تنسى ان تستجدي بالفقر كما تستجدي امرأة بالعري

انظر يا سيد

ثوبي ممزوق يكشف عن إبطي° نهدَّي

هلا لملمت الثوب بقرش أو قرشين

وكأنك مثل المرأة

لا تستجدي قرشاً، بل تستجدي تبريرا للهاوية المنتظره
يوما ما ستخون لانك مملوء بالضعف

زياد :

بل أنت
يوما ما ستخون لانك مملوء بالحقد وبالبغضاء

الاستاذ :

أوه ، كفا عن هذا ، لم لا تصفو نفسكما

لا ، لن يهوي أحدكما في قاع الوحل
ستظلان شريفين
حسان وزياد وجهان لشيء واحد

المبدأ اذ تفنى فيه النفس وتتصوف
قد يصبح دمعه
أو يصبح خنجر
لكن ما أحوجنا للحب
ما احوجنا ان نسمع كلمات بريخت الطيب
« أنا حين أردنا تمهيد الارض لينبت فيها الحب
ما استطعنا من وطأة ميراث الماضي ••
ان نعرف حب رفيق لرفيقه ••• »

حسان :

هيه يا استاذ
الحب ••• الحب
لن يصنع مستقبل هذا البلد الحب المتأوه
بل يصنعه العنف المتلهب •
مجموعة اشعار بريخت ورفاقه
من جوته حتى آخر ثرثار عرفته اللغة الالمانيه
لم تمنع شرذمة النازيه

من أن تتربع فوق كراسي السلطة

الاستاذ :

لكنّ النازية سقطت يا ولدي

حسان :

لم تسقط بالكلمات

الاستاذ :

يا ولدي
تاريخ الانسان صدى خفقات القلب الملهم
لا تاريخ القفازات السوداء وحمامات الدم
والآن ...
لنعد لروايتنا
كم كنت مصيبا حين تلمست سبيلا كي تتلاقى
في دائرة الفن
لكني كنت مصيبا أكثر

حين اخترت لكم هذا العمل الفني
« مجنون ليلى »
والآن
هات حديث الحب
قل يا سعيد
« تعالي نعش يا ليلَ »

سعيد :

تعالي نعش يا ليلَ في ظل قفرة
من البيـــد لم تنقل بها قدمان
تعالي الي وادخلي وجدول
ورنة عصفـــور ، وأيكة بـــان

الاستاذ :

لا
غمغم بالكلمات كغمغمة النيران الى العشب
أرجح صوتك ، حتى يتمزق بين الجهر وبين الايماء

حبّل وقفاتك بالمعنى ، أثقل قافيــة الابيات بألوان الايحاء

هات من القلب ، وقل :

تعالي نعش يا ليل َ في ظل قفرة
من البيــد لم تنقل بها قدمان

تعــالي الي وادخلــي وجدول
ورنة عصفــور ، وأيكة بــان

ماذا تبغي من ليلى في هذه الكلمات
انك تبغي منها ان تكسر قشر مخاوفها ،
تخرج منه امرأة طفله
متسربلة بالشهوة والصمت
تتبعك الى جزر الحب الملعون
الجزر المتوحدة على أطراف الكون المنسيه
او ترقد تحت جناحك ناشرة الشعر كجنيه

في تابوت اللذة والموت

ايه ... قل

سعيد :

تعالي نعش يا ليل في ظل قفـــرة
من البيـــد لم تنقل بها قدمان

تعـــالي الي وادخلـــي وجدول
ورنة عصفـــور ، وايكة بـــان

تعالي إلى ذكر الصبا وجنـــونه
واحـــلام عيش مـــن دد وأمان

فكم قبلة يا ليلَ في ميعة الصبا
وقبل الهوى ليست بذات معان

أخذنا وأعطينا إذ البهم ترتعـــي
وإذ نحـــن خلف البهم مستتران

ولم نك ندري قبل ذلك ما الهوى
ولا ما يعود النفس من خفقان

منى النفس ليلى، قربي فاك من فمي
كما لف منقاريهما غردان

نذق قبلة لا يعرف البؤس بعدها
ولا السقم روحانا ولا الجسدان

فكل نعيم في الحياة وغبطة
على شفتينا حين تلتقيان

ويخفق صدرانا خفوقا كأنما
مع القلب قلب في الجوارح ثان

« صوت من الخارج »

حسام :

هل ادخل يا ساده ؟

ليلى :

هذا صوت حسام

« يدخل حسام »

الاستاذ :

أهلا بحسام

« يعانقه »

وأخيرا عدت الينا
دعني أنظرك
دعني أملأ عيني منك
فلكم كنا نفتقدك
كل الزملاء
ما زلت كما أنت ضحوكا وسمينا
لم تركوك ؟

هل ضاقوا بطعامك

حسام : « وهو يصافح الآخرين معانقا »

بل لم يجدوني أهلا للسجن فطردوني

واعتذروا عن غفلتهم إذ حبسوني شهرين

لما وجدوا الثورة تشتعل بدوني

الاستاذ :

هذا آخر من وفد الينا

سعيد ••• شاعر

سعيد :

أهلا بك

حسام :

اهلا •

لم أقرأ لك •••

لكني ـ وأعاهدكم ـ سأثقف نفسي
أهلا ليلى
قد زدت جمالا حتى أصبحت مثالا للحسن

ليلى :

شكرا

الاستاذ :

حدثنا عما فعلوا بك

حسام :

كانوا رفقاء
اخذا مني الساعـة والنظارات ، ووضعوني في قبو محكم
حتى أحيا في ظلمات العصر الحجري
فأقدر حين خروجي ما منحوه للوادي من عز وتقدم
اذ نقلوه من ظلمات العصر الحجري الى بهجة عصر الشرطه

الاستاذ :

يا اصحابي
يكفي هذا التدريب الليله
ولنحتفل الآن بعودة جندي غائب
هيا ... هيا ...
فحسام قد عاد الينا

حسام :

أعلى ثقة يا استاذ
أن رجوعي يستاهل أن تحتفلوا به

الاستاذ :

هل في ذلك شك

حسام :

بل .. في ذلك شك .

« ستار »

المنظر الثالث

(غرفة التحرير ـ ليلى وسعيد)

سعيد :

ليلى أرجوكِ
لا تلتصقي بالصمت كما يلتصق اللبلاب
الخائف بالشجره
فلقد انهكني شهران من الشك
منذ بدأنا التدريب على الادوار
هل كنت تحبين حسام ؟

ليلى :

شبعت نفسي من هذا الاستجواب •
لا ، لن اتكلم •

سعيد :

بل قولي ما شئت •
فعندي القدرة حتى ان اسمع وقع العاصفة المجنونه•
قولي
لن تجديني بركة ماء راكدة تطوي فيالاعماق المكنونه
ما تلقف صفحتها من خبث وطحالب عكره

بل تجديني بحرا ، لا يتعكر ابدا
يتمخض فوارا حتى يلقى في الشطئان
ما تلفظه دوامات الماء من القيعان

حتى يهلكهـــا وقد الشمس وتذروها الريـــح هباء منثورا

قولي ما شئت
وسأنساه كأني لم اسمعه
سأطهر اذني منه كما تتطهر روحك بالصدقِ
اذا نطقت ••

لم تغفل شيئا ••
قولي

ليلى :

سعيد
ماذا تبغي ؟

سعيد :

لا أبغي الا ما كان

ليلى :

بل انك تبغي ان تثبت شيئا في نفسك
في نفسك ماء عكر تبغي ان تلقيه على ثوبي

سعيد :

ليلى •• أرجوكِ
لن اسأل ثانية في هذا الموضوع •
فلندفنه الآن

لكني أبغي ان اتلمس جسده
أن أخنقه بيدي ان كانت ما زالت فيه حياه
أو أن يفنى في النور انا كان مجرد شبح أجوف
يتسكع في ظلمات الشك
ليلى •• هل كان يحبك ؟

ليلى :

لا ادري •• كان يغازلني

سعيد :

بالكلمات ••؟

ليلى :

ماذا غير الكلم ؟

سعيد :

مثل ؟

ليلى :

لا اذكر

سعيد :

هل كان خفيف الظل ؟

ليلى :

يروي احيانا بعض النكت المكشوفه
ويغني احيانا

سعيد :

لا يبعث انغاما الا القصب الاجوف
هل أحببته ؟

ليلى :

أول رجل غازلني

سعيد :

ماذا أعطيته ؟

ليلى :

بعض الود

سعيد :

أين ؟
هل أبحر ودكما فوق سريره
أم أغفى تحت سلالم بيته
وهل استفتح ودكما ملهاة الحب ببعض النكت القذره

ليلى :

أوه ، سعيد
أرجوك

سعيد :

لا أقدر

ليلى :

تعلم اني لم يلمسني أحد حتى الآن
صدقني ، إلا إن كانت نفسك تتلذذ بالشك

كما يتلذذ خفاش بالدم
صدقني ، ارجوك
كنت كأني انتظرك
حطت عيناي الهائتان على وجهك
كالطير الهائم في الافاق الى ان صادف عشه
ليلى والمجنون
هذي المأساة الحلوه ،
شهران من التدريب ،
رجرجة في صوتك حين تناديني ••
كي اتبعك واترك ماضي كما تترك لؤلؤة علبتها السوداء
كي تبرز للشمس وللنور
صدقني
ان حساما لا يعني عندي شيئا
لما غاب قليلا
انزلق على ذاكرتي مثل الغبش على سطح الكأس
الملساء

سعيد :

ليلى
اني رجل مرهق
جاوزت العشرين ببضع سنين ،
لكني اشعر أني متغضن
لا ، وجهي ، بل أعصابي وخيالي ودمائي
بل اني أحيانا انظر في المرآة
لا أبصر نفسي ، بل ابصر مخلوقا معروقا هرما
تتوكأ كتفاه على اقرب حائط
ليلى
إني اتعلق من رُسغي في حبلين
الحبلان صليبي وقيامة روحي
الحرية والحب
والحرية برق قد لا ينفتق عنه غيم الايام الجهمه
برق قد لا تبصره عيناي ، وعينا جيلي المتعب

لكن الحب يلوح قريبا مني
ليلى
هل تدرين ؟
مامعنىان يمنح رجل لامرأة قلبه !
رجل مثلي جاف كالصبار
لا يملك إلا هذي الزهره

ليلى :

سعيد ••• ارجوك
لا تجعلني ابكي
كم يسعدني حبك لي
كم يسعدني حبي لك

سعيد :

حبك لي
ماذا يعني الحب لديك
فلقد اصبحلفظا من كثرة ما يعنيه ••
لا يعني شيئا

ليلى :

لا تدخلني في تيهِ التفكير المعتم
دعني اتحدث عنه باحساسي المفعم
لا معنى للحب لدي بدونك
انت الحب
يبدو لي ان المرأة لا تعرف معنى للحب بدون المحبوب
ما أعرفه اني حين أراك
تلتف حواليك عيوني كالخيط على المغزل
ما أعرفه أني أتخيلك كثيرا في وحدتي الرطبه
أحيانا أتخيلك كما أنت
وكأني أرسم صورتك بانفاسي
جبهتك المشرقة الصلبه
عيناك الطيبتان المتعبتان ، وإرخاء الهدب المثقل
خداك المنحدران الى ذقنك
شاربك المهمل
كفاك المتكلمتان ، وعيناك الصامتتان تنيرانوتنطفئان

مشستك المرهقة المتماسكة الخطوات، كمشية جنــدي
بين قتالين مريرين

سعيد :

هذا ليس أنا
هذا الرجل الملتف بجسدي

ليلى :

أعرف ايضا روحك
أعرف ما يثقلها احيانا ، ويميل بها نحو كآبة مغربهـــا
الداكن
اعرف ما يسكرها أحيانا ، ويؤرجحها في رغوة نور
الفجر

سعيد :

حقا يا ليلى تدرين شقائي

ليلى :

وأقدسه وأباركه يا حبي

وسأحمله في صدري طفلا منك

سعيد :

أوه

ليلى •• ليلى

(يتقدم نحوها)

« يدخل زياد وحنان »

زياد :

هل هذا في الدور ؟

سعيد :

أهلا بكما يا أكبر كتاب العصر

ماذا أبطأ بكما اليوم ؟

حنان :

كنا نجمع مادة موضوع عن سيدة باره

كاملة الاوصاف

مثرية وجميلة
ومثقفة ايضا
وتحب الموسيقى
لكن هذا كله
لا يشغلها عن واجبها في عمل المعروف
فهي تحب الايتام وترعاهم ، حتى تضمن مقعدها في الجنه

زياد :

ولقد ضمنت مقعدها في قلبي
أرأيت اذا طرحت معطفها فوق الكرسي الازرق
والتفت فيه شامخة يتألق مرمرها المشرق
كانت كبنفسجة شبعت من وهج الشمس
واسترخت إذ خزنت منه ما يكفيها
كي تعكسه حين تشاء

ليلى :

يبدو أنك أعجبت بها

حنان :

ثوري ومنافق
ينسى مبدأه .. في خُفَّي أول أنثى يلقاها

زياد :

لا بل قد خالجني إحساس طبقي

سعيد :

مـــاذا

زياد :

قلت لنفسي
ماذا لو تلمس كفى الخشنه
هذا الجسد الشمعي المتألق
حتى يتفتح لي كخليج ينتظر المركب
ماذا لو انتقم لجمع الفقراء المرهق
من عزة هذا التمثال الشاهق

حنان :

ولماذا لم تبذل جهدك ؟

زياد :

انتابني الخوف

حنان :

منها ؟

زياد :

بل منك

حنان :

بل أنت منافق
تبغي ان تلبس احساسك
ثوبا مسروقا من اكفان الافكار
وعلى اية حال ، فلتسمع هذي الكلمةولتتدبر معناها
لا يعنيني ما تفعله في شيء ...
بل انك ــ شخصيا ــ لا تعنيني
هيا لنتعدّ الموضوع

« يتجهان الى احد المكاتب، ويبدآن اعداد الموضوع. بينما تدخل سلوى وحسان . ويتجهان الى احد المكاتب وهما يذرعان الغرفة ، وحسان يستانف حديثه »

حنان :

لكني لا اتصور

ان فتاة متقدمة الفكر

تعترف لقسيس أو توقد شمعا للعذراء

سلوى :

ماذا في ذلك ؟

حسان :

إنا لا نحتاج الى الدين

بل نحتاج الى القوه

سلوى :

اني التمس القوة من ديني

حسان :

التمسيها من داخل نفسك

سلوى :

لا وقت لكي اشرح لك

« يدخل الاستاذ ومعه حسام »

الاستاذ :

ما هذا اليوم المشرق
كل اثنين على جانب
اقول صباح الخير
ام اتفاءل ، واقول
صباح الحب

حسان :

اهلا يا استاذ .

الاستاذ :

ما دمتم قد أصبحتم الفا واليفه فلقد اصبحت الحفلة

لا جدوى منها

زياد :

لا ... لا تتفاءل يا استاذ

ما زلنا ننتزع الاشواك من الورد

نحتاج الى بضع بروفات أخرى ...

الاستاذ :

لا ... فلقد قادكم التمثيل الى الواقع

والواقع اكثر صدقا

حسام :

أو أكثر تمثيلا

« ستـــار »

الفصل الثاني

المنظر الاول

« المنظر نصفان ، نصف مضاء ونصف مظلم ، في النصف المضاء الايمن غرفة سعيد ، ولها باب يؤدي الى المطبخ ، واثاثها بسيط ...

(سعيد ــ ليلى)

ليلى :

واتتني الجرأة ان آتي لازورك
بيتك يبدو أجمل مما تحكي عنه

سعيد :

بل أصبح أجمل حين دخلته
هل اصنع لك شاي ؟

شكرا يا حبي

سلوى سألتني اليوم

متى تتزوج

سعيد :

ماذا قلت لها !

ليلى :

قلت لها ما أعرف

أني لا أعرف

سعيد :

ماذا قالت ؟

ليلى :

سألتني أن اسألك

سعيد :

هل يعنيها الامر ؟

ليلى :

سلوى تتمنى لي الخير

سعيد :

هل امك في خير

ليلى :

امي ؟

سعيد :

أفليست زوجه !

ليلى :

نعـــم

سعيد :

وسعيده ؟

ليلى :

لا ادري ، لم أسألها عن هذا قط

أمي كالبركان المختوم
لا تنفتح احيانا الا ملقية بالحمم على رأس القدر المقسوم
لكن الايام تمر ، وقد شبعت منها ..
وابتسمت في اولها ما يكفيها زادا لمرارة آخرها
فأبي يرقد في فرشته مشلولا منذ سنين
امي لا تبرق عيناها الا حين تميل عليه حانية في شوق مكتوم
وأظن بأنهما قد نعما بالحب طويلا قبل هجوم العلة والشيب

سعيد :

هل أعجبك الشاي ؟

ليلى :

لا بأس.

سعيد :

أمي ليست في خير ...؟
هل انت سعيدة ؟

ليلى :

جـــدا

سعيد :

بم أنت سعيده ...؟

ليلى :

بالحب ، وبك
بحنانك ... بالايام
وبأحلامي ان طافت في افق الغـــد
عادت لي لتدغدغ قلبي في مرح وضاء
بالنوم على صورتك المرتسمة فوق عيوني
كالزبد الطافي فوق الماء
بالصحو على امل اللقيا
آه ما اسعدني
ساحدثه ويحدثني
فلينهمر الشعر المعقود على خدي وعيني
ولأطلقه يغني ... ويغني

ولأطرد ظل الوسن النعسان
عن جسمي المثقل بالاحلام
ولابرز مشرقة كي أتألق في بلورة عينيك الصافيتين
أتحطم الف شعاع كي التم وأتحطم
لكن سعادتنا لا تكمل الا ...

سعيد :

هل حبك ناقص ؟

ليلى :

أتمنى لو عشنا في عش واحد

سعيد :

تعنين ... سرير واحد ؟

ليلى :

كالازواج جميعا يا حبي

سعيد :

اهو الجنس اذن ؟

ليلى :

بل هو تحقيق الحب

سعيد :

الحب اذن وهم دون الجنس ؟

ليلى :

بل هو شوق ظمآن يبغي ان يتحقق

سعيد :

هل كل الزوجات يمارسن الجنس بشوق الحب ؟

ليلى :

لا ادري

سعيد :

أمي كانت تستلقي في كتفي رجل تبغضه بغض الموت
كانت حين ينام سعيدا بفتوته المنهوكة كل مساء **الطفل**
تهرع للحمام لتستفرغ ما في معدتها من زاد أو ماء
قد سممه ريقه
لا أبغي أن افتح غرفة تذكاراتي السوداء
لكن ، لا بأس

اذا لم يضحكك حديثي

ليلى :

افتح ان كان يريحك

سعيد :

لا ادري هل يشفيني هذا ام يشقيني
مات ابي ، وانا ابن سنين عشرة
اتذكر ما زلت النعش الملفوف ، وقد اسند للحائط .
هل كان زجاجا او خشبا ،
فأنا أتخيل اني كنت ارى من داخله جثة من كـان الى
ساعات يؤويني بين ذراعيه ..
فأحس بأني انساب الى الامن كما ينساب الحيوان الى
جحره
لكن الجثة كانت نائمة، يتماوج حول ملامحها شيء...
هل كان هو الموت ؟

كنت وحيدا تعسا وسط الحجرة
هل كنت اولول وانوح ، كما ناحت أمي والنســوة
منذ الصبح الباكر
ام كنت اتابع بعض الاصوات المتسللة من الخارج

اتذكر هذا الصوت
بائع صحف يذكر مصرع طلاب شهداء
كانوا يحتجون على شيء ما ، أعرفه الان
مات ابي في فرشته مطحون الصدر من الاعياء
يوم استشهاد الجراحي ورفاقه
جاءت امي بعد قليل اذ هبط الليل
مسحت خدي ، قالت
انا امك وابوك

« يظلم الجزء الايمن ويضيء الجزء الايسر عن حجرة بالفة الفقر ، لنرى سعيد طفلا وامه نائمين . »

الطفل : امي

أنا خائف

أيعود الموتى يا أمي ، حين يجيء الليلُ ،

وتخلو الطرق من الناس

الام :

نم يا حبيبي نم ويا زمان ابتسم

للولد الجميل

يأتي لك الصباح بالخير والنجاح

والامل الظليل

الطفل :

أمي

جوعان

الام :

ويلي من أيامي

روحي مترعة بالحزن

وقد اجتثت شجرتنا الوارفة الظل
وانهدمت بوابتنا المنقوشة بالريحان وبالفل
قلبي مخلوع بالخوف ...
يلقيني الصبح المتجهم في سجن الليل القاتم
لا يحنو لي الا سنة النوم وتهويم الحلم
نم يا حبيبي نم ويا زمان ابتسم
للولد الجميل

الطفل :

أمي
جوعان

الام :

بعنا آنية البيت

« يظلم المشهد الايسر للحفلة ، ثم يضاء لنجد الطفل يدخل مسرعا ، وقد كبر عاما او حول ذلك، قادما من الشارع حيث كان يتعب ...»

الطفل :

أمي

جوعان

جوعان

الام :

اهلا يا ولدي

ما أحلى قسماتك تضحك فيها شمس الصيف

الطفل :

أمي

جوعان

الام :

بعنا الدولاب واحدى المرتبتين

« يظلم الجزء الايسر لحظة ، ثم يضاء ، لنجد سعيد نائما في حضن أمه وقد طال قليلا، والغرفة خاوية او تكاد ..»

الطفل :

أمي •• جوعان
جوعان

الام :

يا ولدي يا حبة عيني
لم يبق لنا مما يعرض في السوق
الا أنت بسوق الخدامين
وأنا في سوق الحب
نم يا حبيبي نم   ويا زمان ابتسم
للولد الجميل

« يظلم المشهد الايسر ، وينير المشهد الايمن »

سعيد :

ما زلنا في مدخل غرفة تذكاراتي السوداء

ليلى :

« باكية » • عانيت كثيرا يا حبي

اسكب ملح جراحك في قلبي

سعيد :

قلبك ... لا يتسع لكل جراحي
هل تتقدم في الغرفة بعض الخطوات ؟

« يضــاء المشهد الايسر ، ويظلم الايمن ، الأم في ثوب احمر فقير . الطفل نائم الى جوارها .. »

الام :

سعيد
إنك ولد عــاقل هي تذكر هــذا الرجل الطيب .. الرجل الطيب ذو الجلباب الاسود . يأتينا في بعض الاحيان . يحمل بين ذراعيه خبزا وإداما . ويحبك . احيانا يقرص خديــك الورديين . احيانا يتحسس خصلة شعرك .. هذا الرجــل الطيب يبغي . يبغي ان يتزوجني .. هــل تعلم مــا معنى هذا يا حبي الاوحد ... سوف ينام الى جنبي في بعض الاحيان. قد يقرص خدّي كما يقرص خديك . قد يتحسس

شعري • وسيأتينا في كل مساء ، او في كل مسائين •
اذ ان له امرأة اخـــرى • وسيأتينا دوما يحمل خبزا
وإداما •• اعطاني عشرين جنيها • هل تشعر بالجوع
ايا نور عيوني •••

« الضوءيخفت قليـــلا في النصف الايسر لنـــرى رجلا فارع الطول ، يرتدي جلبابا ومعطفا • ابرز ما فيه فضلا عن طوله حذاؤه الغليظ ذو الرقبة،وشاربه المبروم ، يدخل بقدمه بين المراة والطفل » •

الرجل :

الليلة نحس من اولها
ولد لكع لا يبغي ان يتزحزح
يابن النجسه
اوسع لي شبرا اتمدد فيه

الام :

« وهي تمسك حذاء الرجل »

صبرا حتى يأوي الطفل الى النوم
وتروق لنا الدنيا

الرجل :

لا وقت لدي لكي استمتع بدلالك
لن يحميك الطفل ، فأنت امرأة نكده
أرسلت لك اليوم طعاما ، فهل امتلأت بطنك

« يتحسس بطنها بحذائه »

وهل امتلأت بطنك يا بن النجسة
نهم كالدوده
ورذيل ايضا حين تبصبص بعيونك

« يتحسس بطنه بحذائه

الام :

أرجوك
دعه وشأنه

إنك رجل طيب
لا تتحرش بغلام مسكين

الرجل :

ها ! ها !

في آخر زمن أتعلم من نجسه
كيف اكون ـ كما قالت ـ رجلا
لكني سأريك الآن
اني رجل ، وزياده

« يحاول نزعها مـ ـنالارض ، فتتشبث بها يهوي الرجل فوقها ويظلم المسرح تماما ، وبعد لحظة نسمع صوت المراة تتاوه .. الما . »

« باكيا بصوت مرتفع »
أمي •• أمي

« يضاء نور النصف الايمن »

سعيد :

هذا أنا ابكي
لم أبك كثيرا اذا علمني الزمن القاسي
فيما بعد .
أن أبكي في أوراقي

ليلى :

صنعت منك الايام المرة انسانا حساسا

سعيد :

صنعت مني الايام المرة انسانا مهزوما

ليلى :

لم لا تؤمن بالمستقبل

سعيد :

بل اني اخشاه لاني اؤمن به
اوشك احيانا ان الحظه لحظ العين
ولهذا فانا ابصره ملتفا في غيم اسود

ليلى :

كيف

سعيد :

في بلد لا يحكم فيه القانون
يمضي فيه الناس الى السجن بمحض الصدفه
لا يوجد مستقبل
في بلد يتمـــدد في جثته الفقر كما يتمدد ثعبـــان في الرمل

لا يوجد مستقبل
في بلد تتعرى فيه المرأة كي تأكل
لا يوجد مستقبل

ليلى :

سعيد
فكر في مستقبلنا نحن •••

سعيد :

كانت أمي ايضا تطمع في المستقبل

ليلى :

سامحني أسعيد
انك تتحدث عن حاله
ليست أقدار الناس جميعا في هذا السوء

سعيد :

أنا لا أتحدث عن حاله
بل أتحدث عن حالي

ليلى :

فكر في الحب

سعيد :

بل اني لا احيا الا للحب

ليلى :

سعيد
اني أتمناك

سعيد :

انا لك يا ليلى

ليلى :

لي كي ألمحك على أهدابي كالحلم المفقود
إني أبغي أن أضعك في عيني كالنور
سعيد
انظر لي : والمسني ، وتحسسني
إني وتر مشدود
يبغي ان ينحل على كفيك غناء وتقاسم

سعيد :

أوه ... الجنس
لعنتنا الابديه
وجه الحب المقلوب

ليلى :

لا ، بل وجه الحب المتبسم

سعيد

جسمي يتمناك كما تتمنى الطينة أن تخلق
جسمي يتمناك كما تتمنى النار النار

سعيد :

واذا انطفأت

ليلى :

عادت فاشتعلت

سعيد :

نار دنسه
لا تنتج الا دنسا

ليلى :

والأطفال ...؟

سعيد :

أنجبت النار الدنسة من أمي ستة اطفال

ليلى :

سعيد •• حبيبي
وا أسفاه ••
إنك خرب ومهدم
لا تصلح الا كي تتسكع في جدران خرائبك السوداء
وا أسفاه
أحببت الموت
أحببت الموت

« تنصرف نحو الباب »

« ستـــار »

المنظر الثاني

« مقهى وحانة رخيصة ـ سعيـد وزياد وحسان يجلسون على مائدة ـ النسوة يرحن ويجئن..»

سعيد :

النسوة يتحدثن .. يرحن ، يجئن
يذكرن مكايل انجلو

حسان :

ما هذا ؟

سعيد :

بيت للشاعر إليوت

حسان :

ما معناه

سعيد :

معناه ان العاهرة العصريه
تحشو نصف الرأس الاعلى بالحذلقة البراقه
كي تعلي من قيمة نصف الجسم الاسفل

زياد :

معناه أيضا
انا لم نصبح عصريين الى الآن
حتى في العهر

« تمر امرأة »

هل تعجبك •• سعيد ؟

سعيد :

لا ، هي أجمل مما أبغي

فتش لي عن أقبح وجه لعجوز في الخمسين
حملت مرات سبعا
ست من هذه المرات سفاحا

زياد :

حدثني .. حسان
لم نهفو للعهر كما يهفو الصرصار الى الاوساخ

حسان :

يبدو ان العالم عاهر

« **تمر امرأة فيجذبها زياد اليه ، ويسالها** »

زياد :

هل اسمك عالَـم ؟

المراة :

لا ، بل اسمي دنيا .

حسان :

أرأيت ؟

كم عمرك ؟

المراة :

دعني أتذكر

ولدتني أمي في عام الهوجه

حسان :

أية هوجه

المراة :

هوجة سعد

سعيد :

تعني ثورة سعد

لا .. لا تصلح لك

هذا رجل يبغي امرأة ولدت في هوجة حتشبسوت

« يدخل مغن ضرير ، ومعه صبي.. يقوده. يجلس على كرسي قريب ، ويصلح اوتار عوده » .

المغني :

اسعد الله الاماسي

يا ملوكا يا ذوات

زياد :

عفوا يا مولانا

نحن صعاليك حقا ، لكنا نقدر ان تتحفك بكأس

« يصفق للخادم ، فيجيئه »

زياد :

أعط الاستاذ المطرب كأسا مما نشرب

المطرب :

ينطلق مغنيا ..

والله ان سعدني زمانـي لاسكنك يـا مصر

وابني لي فيكي جنينة فـوق الجنينة قصر

واجيب منـادي ينـادي كل يـوم العصر

ذي مصـــر جنـــة هنيـــة للي يسكنهـــا
واللي بنى مصر كـــان في الاصـــل حلواني
يا ليلي •• يا عيني

زياد :

آه •• قلبي الليلة مثقل ••
والخمرة تلسعه كاليود على الجرح
استأذنكم أن أمضي
فسأصبح أثقل ظلا بعد قليل

سعيد :

لم ••؟

زياد :

لا أقدر ان انسى

حسان :

تنسى ماذا ؟

زياد :

ما أبغي أن أنساه

سعيد :

هل لك غرفة تذكارات سوداء

زياد :

فُتحت تستقبل أسودَ تذكاراتي الليله

سعيد :

ما القصة ! أزياد ؟

زياد :

لا شيء
قل شعرا أ سعيد
الليلة خمر وغدا ... من يدري
قل شعرا .. أرجوك

حسان :

شَعر في مبغى

زياد :

مثل المبغى في الشعر
معذرة أسعيد
قل شعرا أرجوك

سعيد :

هذي آخر اشعاري
العنوان طويل
« يوميات نبي مهزوم ، يحمل قلما ، ينتظر نبيا يحمل سيفا »
هذي يوميته الاولى
يأتي من بعدي من يعطي الألفاظ معانيها
يأتي من بعدي من لا يتحدث بالأمثال
اذ تتأبى أجنحة الاقوال
ان تسكن في تابوت الرمز الميت
يأتي من بعدي من يبري فاصلة الجمله
يأتي من بعدي من يغمس مدات الاحرف في النار

يأتي من بعدي من ينعي لي نفسي
يأتي من بعدي من يضع الفأس برأسي
يأتي من بعدي من يتمنطق بالكلمة
ويغني بالسيف

(هذا ما خط مساء اليوم الثاني)

كهان الكلمات الكتبه
جهال الاروقة الكذبه
وفلاسفة الطلسمات
والبلداء الشعراء
جرذان الاحياء
وتماسيح الاموات
أقعوا ــ في صحن المعبد ــ مثل الدببة
حكوا أقفيتهم ، وتلاغوا كذباب الحانات
لايعرف احدهمو من امر الكلمات
الا" غمغمة او همهمة او هسهسة او تأتأة او فأفأة...
او شقشقة او سفسفة او ما شابه ذلك من اصوات

وتسلوا بترامي تلك الفقاعات
لما سكروا سكر الضفدع بالطين
ضربوا بنعيق الاصوات المجنون
حتى ثقلت أجفانهم ، واجتاحتهم شهوة عربدة فظه
فانطلقوا في نبرات مكتنظة
ينتزعون ثياب الافكار المومس والافكار الحره
وتلوك الاشداق الفارغة القذره
لحم الكلمات المطعون
حتى القوا ببقايا قيئهم العنين
في رحم الحق
في رحم الخير
في رحم الحرية

(هذا ما خط مساء اليوم الثالث)

لا أملك أن أتكلم
فلتتكلم عني الريح
لا يمسكها الا جدران الكون

لا أملك أن آتكلم

فليتكلم عني موج البحر

لا يمسكه الا الموت على حبات الرمل

لا أملك أن أتكلم

فلتتكلم عني قمم الاشجار

لا يحني هامتها الا ميلاد الأثمار

لا املك ان اتكلم

فيتكلم عني صمتي المفعم

(هذا ما خط مساء اليوم الرابع)

لا .. لا .. لا أملك الا ان اتكلم

يا أهل مدينتنا

يا أهل مدينتنا

هذا قولي :

انفجروا أو موتوا

رعب اكبر من هذا سوف يجيء

لن ينجيكم ان تعتصموا منه بأعالي جبل الصمت
او ببطون الغابات
لن ينجيكم ان تختبئوا في حجراتكم ...
او تحت وسائدكم ، او في بالوعات الحمامات
لن ينجيكم ان تلتصقوا بالجدران ، إلى ان
يصبح كل منكم ظلا مشبوحا عانق ظلا
لن ينجيكم ان ترتدوا اطفالا
لن ينجيكم ان تقصر هاماتكم حتى تلتصقوا بالارض
او ان تنكمشوا حتى يدخل احدكمو في سَم الابره
لن ينجيكم ان تضعوا اقنعة القرده
لن ينجيكم ان تندمجوا او تتدغموا حتى تتكون من
اجسادكم المرتعده
كومة قاذورات
فانفجروا أو موتوا
انفجروا او موتوا

(وهذا ما خط مساء اليوم الخامس)

يا سيدنا القادم من بعدي ؟
ـ أصففت لتنزل فينا أجنادك
ـ لا ، اني انزل وحدي
ـ يا سيدنا القادم من بعدي
ـ هل ألجمت جوادك
ـ لا ، ما زال جوادي مرخى بعد
ـ يا سيدنا ـ هل أشرعت حسامك
او احكمت لثامك
ـ لا ، سيفي لم يبرح جفن الغمد
وانا لا اكشف عن وجهي الا في اوج المجد
او في بطن اللحد
ـ يا سيدنا ، هل اعددت خطابك او نمقت كلامك
ـ لا .. كلماتي لا تولد او تنفد
ـ يا سيدنا ... الصبر تبدد
والليل تمدد

ـــ انا لا اهبط الا في منتصف الليل
في منتصف الوحشه
في منتصف اليأس
في منتصف الموت
ـــ يا سيدنا ، إما أن تدركنا قبل الرعب القادم
او لن تدركنا بعد

حسان :

نضجت اشعارك أ سعيد

زياد :

أحلى ما قلت
احلى ما فيها أنك تنعي هذا الجيل الآسن
جيل لا يصنع الا ان ينتظر القادم
جيل قد ادركه الهرم على دكك المقهى والمبغى والسجن
جيل مملوء بالمهزومين الموتى قبل الموت

سعيد :

هذا حق أ زياد

فانا اشعر انا جيل قد مات ولم يولد بعد
لا يقدر ان يصنع شيئا ، حتى في الحب ••

حسان :

بمناسبة الحب
هل صفحت ليلى عنك ؟

سعيد :

ليلى تبغي ان تعبر بي الجسر الى مدن الاحياء
لكنني لا أقدر الا ان اثوي في الشط المهجور
فهنالك مقبرتي ، وحلي الزائفة ، واهرامي الوهميه
ليلى تبغي رجلا تتكىء على جذعه
وانا بضعة احطاب طافحة فوق الماء الراكد

حسان :

سعيد
هل تنوي ان تنساها !

سعيد :

لا ينسى المرء بحسن النيه

حسان :

حاول ..

سعيد :

لا انوي ان انساها ..
بل انوي ان أحياها مثل حياتي للمستقبل
مثل حياتي للحرية والعدل
مثل حياتي للحلم
حلم لا اقدر ان اتملكه ، لكنني اقدر ان اتمناه

حسان :

سعيد
هل تعلم ان حسام
يتقرب من ليلى

سعيد :

هو ايضا يتمناها

زياد :

الدودة في أصل الشجره

حسان .

مـاذا ؟

زياد :

هلوسة مخموره

المغني :

هل لي في كأس اخرى ، اسقاكم ربي من خمر الجنه؟

زياد :

تكفينا خمر الدنيا

(يصفق للخادم)

كأس اخرى للاستاذ

المغني :

« يغني »

والله ان سعدني زماني لاسكنك يا مصر
وابني لي فيكي جنينة ، فوق الجنينة قصر
واجيب منادي ينادي كل يوم العصر
دى مصر جنة هنيه للي يسكنها
واللي بنى مصر كان في الاصل حلواني

حسان :

سعيد
لكن ليلى مالت لحسام في هذي الايام
وحسام يعرف كيف يثير خيال امرأة بالالفاظ الحلوه

زياد :

الدودة في اصل الشجره!

حسان :

ماذا ؟

زياد :

قلت لكم اني سوف اكون ثقيل الظل

فضلا عن اني مخمور

سعيد :

زياد
ماذا تطوي في قبضة فكرك ؟

زياد :

أشياء

سعيد :

قلهـــا

زياد :

سأؤجلها للغد.

حسان :

اطلق ما في نفسك من أحزان او أفكار
نحن صديقاك

زياد :

وصديقاه

سعيد :

من ؟

زياد :

الدوده ..

حسان :

زياد .. لا تبك

حدثني ، أسمعني صوتك

ما الموضوع ؟

زياد :

حسام جاسوس

حسان :

مـــاذا ؟

زياد :

جند في السجن

حسان :

هات البرهان

هات البرهان ، وإلا أظلمت الدنيا في عينيك الكابيتين

قبل قيامك من هذا الركن

لا تقتل صيت زميل واسم مناضل

في جهشة صوت مبحوح واهن

وكأنك تنفخ مصباح صفيح صدىء قبل النوم

قل انك سكران

قل إن لسانك قد زل

قل إنك تكرهه في طينة اعماقك

حتى انك قد تبصره في الحلم الآسن

جاسوسا او ما أشبه

هات البرهان

أرأيت بعينيك الصاحيتين حساما يتجسس

أسمعت بأذنيك

هل ضيقت عليه حبل الاسئلة فأفصح بعد تلعثم

هل ضيقت عليه حبل الاسئلة فأفصح بعد تلعثم

زياد :

نعم •• نعم •• نعم •• نعم ••

حسان :

نعم •• نعم

لا يثبت شيئا ان تجهش وتتمتم

سعيد :

رفقا يا حسان ، فإن زيادا متعب

دعه يتكلم

زياد :

لم يك بالداخل الاه

حين دخلت

حسان :

ايــن ؟

زياد :

في غرفة مكتبنا بالدار

حسان :

متى ؟

زياد :

قبل مجيئي بقليل

كنت نسيت النظارات ، فملت لأبحث عنها .

كان يحدث شخصا ما بالتليفون ، ويضحك أحيانا

أو ينصت

لم يشعر بوقوفي عند الباب

حسان :

ماذا كان يقول

زياد :

كان اسمك اول ما سمعته اذني ، اذ كان يؤكد
انك ارهابي

فعجبت وأطرقت

وسمعت اسمي واسم سعيد واسم الاستاذ

كان يخاطب من في الطرف الآخر بأفندم

يستمهله حتى يأتيه في صبح الغد في مبنى الامن العام

وبرفقته تقرير مكتوب

حسان :

هل خاطبته ؟

زياد :

لما وضع السماعه

حسان :

ماذا قلت ؟

زياد :

قلت له في صوت انكرته
لما ارتد لسمعي
حسام ..
هل تعمل في الامن العام

حسان :

ماذا كان الرد ؟

زياد :

رجفت شفتاه قليلا ثم استغرق في ضحك فاتر
ودعاني أن اجلس
حدثني عن قسوة عيش السجن
هل كان يهددني أم يبحث عن تبرير
لا ادري
واستطرد حتى قال
إن مجابهة الامر الواقع اعلى درجات التكتيك الوطني

سعيد :

مـــاذا ؟

زياد :

هذا ... ما قال

سعيد :

ماذا يعني ؟

زياد :

حين استوضحت اجاب ، وقد اشعل سيجاره
اسمع زياد
ما اسهل ان تتعرض للسلطة حتى نعطيها تبريرا للبطش
لكن العمل الوطني
لا يحتاج الى القوة والعزم فحسب
بل يحتاج الى الحيلة والذهن
والتكتيك الامثل
هو أن نلتف على السلطة في رفق، ثم نشد الجذر المتعطن
بل قد تستدعي الحكمة في بعض الاحيان
ان نتنازل عن بعض صلابتنا الثوريه
حتى نكسب ثقتهم فيما لا يتعرض للمبدأ

عندئذ نهزمهم من داخل ..

سعيد :

داخل ماذا ؟

زياد :

لا ادري

حسان :

وغد سافل

قلت له اني قد انصت اليه

وهو يقدم للسلطة تقريرا عنا

فأجاب ، وقد مد ذراعيه في دهشه

لا .. لا .. أزياد

أنا اشرف مما تتصور

فالتكتيـــك ..

هو ان نعطي للسلطة معلومات كاذبة عن أنفسنا

حتى تهدأ عين الاعداء ، فنكمل لعبتنا في احكام

سعيد :

اية لعبه ؟

زياد :

لا ادري
كان الموقف مملوءا بكآبته الوحشيه
وهواء مقرور يتسلل من نافذة ما ، يجعلنا نلتف نقعى مقرورين
كنا مشبوحين على كرسيين ، عدوين فجاءين قناعين على كتلة جسدين
خوف وبرود مجروح في عينيه ونفسي فاترة ومعذبة في آن واحد
والحجرة كانت تتأرجح في كون خال الا منها
خالية الا منا مشبوحين على الكرسيين
والاصوات ترن على أسقفها الستة ، ثم تعود الينا
وتمنيت !!لحظه
ان يدخل من يقطع جلستنا

حسان :

هل جاء احد

زياد :

الساعي يستعجلنا
ونزلنا فوق السلم
كنت مشوقا ان ابصر نور الشارع والمارة والسيارات
وماء النيل
امسك بذراعي عند الباب ،وخدق في عيني، وقال
زيـــاد ..
هل تكتم هذا السر ؟
كانت عيناه كعيني ذئب مجروح
لو كانت في جيبي مرآة عندئذ لنظرت الى عيني
فلقد كان وجودهما يؤلمني
فجــأة ...
وضع ذراعا في كتفي ، وقال ...
أنا املك ان انفعك واؤذيك

حسان :

وغد وجبان
ماذا قلت ؟

زياد :

لم انطق كلمه

وبدون تحيه

انحدرت خطوته فوق رصيف الشارع حتى ضاعت

في الميدان ؟

حسان :

ماذا قال لمندوب السلطــه

إذا ذكر اسمي ؟

زياد :

إنك ارهابي

حسان :

لم يخطىء فيما قال

وسأبدأ وطأة ارهابي به

الاخبار توافيكم في صبح الغد

« حسان ينهض منعفضا ، ثم ينطلق الى الطريق »

زياد :

ماذا تفعل ؟

سعيد :

انظر اين مضى حسان ؟

« يذهب ، وينظر في الخارج ، ثم يعود »

زياد :

لا يظهر في الخارج ..

سعيد :

هل تعرف بيت حسام ؟

زياد :

بالتقريب

سعيد :

هيا نذهب

زياد :

« يصفق للخادم ، فيأتي »

خذ هذا! الان ..

تتحاسب فيما بعد

« ستار »

الفصل الثالث

المنظر الاول

(بيت حسام . حسان على الباب الخارجي يدق الجرس. يخرج حسام من غرفة داخلية مزيحا عن عينيه آثار النوم.. يفتح الباب. يدخل حسان)

حسام :

اهلا حسان

ما الساعة ؟

حسان :

تقترب من الفجر

هل ادخل ؟

(يدخل)

حسام : « ضاحكا »

لكن لا ابعد مما انت الان

حدثك هذا الباب ، ولا ترفع من صوتك

حسان :

هل عندك زوار ؟

حسام :

سيدة الزوار
امرأة احلى من أحلامي بالمرأه
اخشى ان يجرحها منكبها العاري عيناك الجائعتان

حسان :

تبدو مسرورا

حسام :

هـــذا حق
أشعر بعد تمام النشوة اني ابحرت الى قلب الاشياء
وعدت
بمناسبة الابحار
اية ريح طيبة حملتك ؟

حسان :

ريح الشوق

حسام :

شكـــرا

أرأيت الزملاء الليله ؟

حسان :

قضيت الليلة في مأتم

حسام :

يتضوع من أثوابك عطر الويسكي النفاذ

هل كانوا يسقون الويسكي بدل القهوه

حسان :

فعـــلا

حسام :

من كان الميت

حسان :

انت ...

حسام :

حسان

لم جئت مع الفجر ؟

حسان :

جئت لقتلك

حسام :

هل قابلت زياد الليله ؟

حسان :

وتحدثنا عنك

حسام :

هل صدقته ؟

حسان :

هل هو كاذب ؟

بالطبـــع

حسان :

في ماذا ؟

حسام :

يتخيل اني انقل اخبار للشرطه

حسان :

هل لا تفعل ..؟

حسام :

قد كنت احدث احد الضباط

رجل طيب ..

ممن حرسوني في السجن

فتوهم أني انقل اخبارا

حسان :

هل جاء اسمي في معرض ثرثرتك

مع هذا الرجل الطيب

حسام :

بالخيـــر

حسان :

حدثني انك قلت لهذا الرجل الطيب اني ارهابي
مع انك ظلي وصديقي • ورفيق الدرس ،
وخدن الشارع والمقهى
لا تنقصنا الا رابطة الدم

حسام :

لا ، بل هو كاذب
قلت له انك مأمون ومسالم

حسام :

من ذيلك عضتك المصيدة المفتوحه
يافأر البالوعات العطنه
نفسية جاسوس
تتوهم انك ترضيني حين تعريني من ثوبي الزاهي
كي تخلع في اكتافي هذي المزق الباهتة الالوان
هيا استغفر ربك
ان كانت تصعد للعرش الانفاس النتنه

« يخرج مسدسه »

حسام :

حسان لا تك مجنونا واسمعني

حسان :

إركع ، وامدد كفيك ، وحدثني
إنك تستجديني ايامك

حسام :

حسان •• أرجوك
انك لا تعرف ما السجن •••
لا تعرف معنى أن ينغرس القفل الصلب بأعصابك حتى تتحطم رأسك
أن تلقيك الايام الفاقدة المعنى والاسم
في أيام فاقدة المعنى والاسم :
حتى تخشى ان تصحو يوما لا تعرف من انت

حسان :

في شهرين سقطت

يا للانسان الورقة

حسام :

ماكنت سجينا ، يحسب ايامه ...
يسقط يوم فيعد ،
كم بقي على الموعد
تتعلق عيناه في حبل الغد
يتوقع يوما أن يأتي السجان ، وفي عينيه
نظرة انسان في عيني انسان
بل معتقـلا
لا يدري هل يبقى عاما او اعواما او اجيالا حتى يتحلل في الاسفلت الاسود
سيان لديه اليوم الواحد والابد الممتد

حسان :

قتلوك والقوا بك جثه
فانا اذ اقتلك الان
لا تحمل نفسي وزرا

اذ أني اقتل مقتولا

(جرس الباب الخارجي يرن في اللحظة التي يتاهب فيها لاطلاق الرصاصة ، فيندفع حسام ليطيح بالمسدس ، ولكن حسان يطلق الرصاصة فلا تضيبه ، ينطلق حسام عدوا نحو الباب ، ليطل منه وجها سعيد وزياد) .

(تخرج ليلى من الغرفة الداخلية بملابس تحتية على صوت الرصاصة . ينطلق حسان خلف حسام) .

حسان :

فر الجاسوس

لا بد وان اتبعه حتى أقصى الارض

يصطدم حسام بسعيد وزياد ، ثم حسان ، كلاهما يعدو . وزياد ينادي من أعلى السلم ..

زياد :

حسان ... حسان

« ينطلق خلفهما ، ويلمح سعيد وجه ليلى ،
يدخل .. »

سعيد :

ليلى ..!

ليلى وهي تفتش عن بعض ملابسها

أبغي ان اخرج

سعيد :

بل ظلي بعض الوقت
فأنا أبغي ان اعرف

ليلى :

ماذا تبغي ان تعرف
المشهد أثقل من ان يثقل بالشرح
بيت ، وامرأة عارية الكتفين وشعر محلول

« تلبس جوربها »

سعيد :

هل نالك يا ليلى

ليلى :

في صدري رائحة منه حتى الان

سعيد :

اغتصبك يا مسكينة

ليلى :

بل نام على نهديّ كطفل
وتأملني في فرح فياض يطفر من زاويتي عينيه
وتحسسني باصابع شاكره ممتنه
فتملكني الزهو بما أملك من ورد ونبيذ وقطيفه
وتقلبت على لوحة فرشته البيضاء
متألقة كالشمس على الجدول
فتمدد جنبي ، فمنحته
أعطاني ، أعطيته
حتى غادرني متفرقة ململمه
كالعنقود المخضل

« تتأمل نفسها في المرآة ، وهي تبحث عن بقية ملابسها .. »

سعيد :

قد خدعك يا مسكينه
الجاسوس

ليلى :

وشوشني في صدق يخنقه الوجد
اني أتملك أحلى ما يحلو في عيني انسان

سعيد :

هل احببته ؟

ليلى :

اقسم ان يتزوجني

سعيد :

آه •• يا للكابوس
خدر ملعون يهبط من رأسي حتى قدمي
اني انهار
اتخلخل مقرورا كالجبل الثلجي

ليلى .. النور .. أمي .. أمي
هذا المصباح ، أضيئيه ، اللعنه
رأسي تسقط عن جسمي
ليلى .. ليلى .. أمي

(يغمى عليه . فتندفع اليه ليلى صارخة) ..

ليلى :

سعيد .. سعيد
حبيبي

((ستار))

المنظر الثاني

(سعيد وليلى في نفس الغرفة . يملؤها نور النهار الباهر . سعيد قد تمدد على الارض متكئا بظهره الى احد المقاعد وراسه نائمة على ذراع ليلى تجلس بجانبه . على مظهرهما الاعياء الشديد) .

سعيد :

هل نمتِ كثيرا ؟

ليلى :

هذا نور الظهر الباهر

سعيد :

سدي هذا الشباك المزعج

عيني يجلدها النور

« تقوم لتسد الشباك ثم تعود الى نفس جلستها » ..

ليلى :

كنت تناديني في نومك
ليلى •• ليلى
واميل عليك الى ان تلسع انفاسك اذني
فاذا بك لا تفصح
او تنشج في صمت
وتعود الى اغمائك

سعيد :

وقت مفقود بين الوقتين
عمر مفقود بين الماضي والمستقبل
ليلى •• اعطيني جرعة ماء
فالخمرة ما زالت في حلقي

« تقوم لتحضر له الماء ، ثم تعـود الى نفس جلستها » ••

آه لو استفرغ ما في امعائي
لو استفرغ ما في نفسي

ليلى :

سعيد
انك تحتاج الى الراحه
بعد قليل أصحبك الى البيت
وهناك تنام الى ان ترتاح

سعيد :

بيتي ؟

ليلى :

ان شئت

سعيد :

هل تبقين معي ؟

ليلى :

حتى ترتاح ..

سعيد :

اشفاقا منك علي

ليلى :

سعيد
كانت رأسك تتوسد صدري حين غفوت
احيانا كنت احس بقبضتك العصبيه
تتجول في لحمي
سعيد
إني اتفتح لك ، لا جسمي
بل كل مغاور روحي ، وكهوفي المنسيه
سعيد
هل تأخذني يوما ما ؟

سعيد :

« مدن كمدينتنا المفتوحه
لا تحمي ورد حدائقها من نقر الغربان
او من قبلات الظل الهيمان »
أبيات من شعري

ليلى :

سعيد

نم حتى ترتاح
ساعدني أن أنسى هذا اليوم المزعج

سعيد :

صارت لكِ غرفة تذكارات سوداء
فليدخل كلَ منا غرفة تذكاراته
قد نخرج منها يوما ما اطفالا بيضاً كالثلج

« يتمددان على الارض ، مسترخين الى المقعد »

سعيد :

الخمرة تنهش حلقي
ليلى .. هل لي في سيجاره

« تقوم ليلى ، لتبحث في معطفه الملقى عن سيجارة . وتشعلها له »

مطفأة ... يا ليلى

« تبحث ليلى حتى تجد تمثالا صغيرا من الحجر في قاعدته مطفأة فتقدمها له ، ثم تعود الى جلستها الاولى »

في صغري كنت أدخن خلسه
كنت اكاد اطير مع الدخان

بل كنت اطير الى ان يصدمني صوت ما ،
صوته
أوه •• لاطعم لشيء ؛ لا افتح بابا الا واجهته

آه •• روحي ممتلئه ••
من يكسرها لي ؛ ويبعثر ما تحويه في اركان الارض
ليلى
لو كنا نملك أن نتخير
ما ننسى او نتذكر

لو كنا نملك ان نصنع ماضينا ••
لا ؛ هذا المشهد من عمري أبغي ان القيه للريح

لا •• هذا سأسوّد جزءا منه وأظلل آخر
لا •• هذا المشهد أبقيه
بل اني ابغي ان يتمدد في قمـــة ذاكرتي الطافية على
سطح النسيان

ليلى :

ماذا تبغي ان يبقى في قمة ذاكرتك ؟

سعيد :

ليلى
لا انسى منظرك ، وانت تقولين
لما كنا نجري تجربة الادوار
في غرفة مكتبنا بالدار

احق حبيب القلب انت بجانبـــي
احلم سرى أم نحـــن منتهيـــان

ابعد ..

ليلى : « تستانف »

احق حبيب القلب انت بجانبـــي
احلم سرى ام نحـــن منتهيـــان

ابعد تراب المهد من ارض عامر
بأرض ثقيف نحـــن مغتربـــان

سعيد :

حنانيــك ليلى ، ما لخل دخلــه

مــن الارض الا حيث يجتمعان

فكل بلاد قربت منك منزلي
وكل مكان انت فيه مكاني

ليلى :

فما لي ارى خديك بالدمع بللا
أمن فرح عيناك تبتدران

سعيد :

فداؤك ليلى الروح من شر حادث
رماك بهذا السقم والذوبان

ليلى :

تراني اذن مهزولة قيس ، حبذا
هزالي ، ومن كان الهزال كساني
هو الفكر

سعيد :

ليلى ، فيمن الفكر

ليلى :

في الذي تجني

سعيد :

كفاني ما لقيت كفاني

ليلى :

أأدركت ان السهم يا قيس واحد
وانا كلينا للهوى غرضان

سعيد : « يصفق لها محييا »

ليلى
اوشك ان ارجع للاغماء
ليلى •• ضميني في حضنك
التصقي بي حتى اسمع نبض عروقك

ليلى :

نم أرجوك •• حبيبي

نم .. نمَ
في رأسك بضع شعيرات بيضاء
لم أبصرها من قبل
وسأنزعها يوما ما

« سعيد يغمض عينيه ، ويغفو .. يدخل حسام .. »

حسام :

ما هذا .. عجبا .. تحتلان البيت كأني قد رمت
اعجب من هذا
ان تنفلتي من بين ذراعي كي تنزلقي بين
ذراعي رجل آخر

(يتقدم حسام ، ويقف بين اقدامهما الممتدة)

ليلى :

حسام
أرجوك .. سعيد نائم

بل ومريض يحتاج الى الراحه
خفض من صوتك

حسام :

ما شأني انا به
القِ به جنب الحائط او فوق العتبه
حتى يسترجع وعيه
فلقد كان صديقا للمجرم

ليلى :

من ؟

حسام :

حسان .
أبلغت الشرطة عنه
هددني بالقتل ، ولم ارجع الا بعد القبض عليه
القِ بهذا الطفل المتماوت في اي مكان

ليلى :

حسام

حسام :

كانوا يبغون دمي
دمهم سوف يسيل على أعينهم كالقيح
الكذابون .. القتله

« يدفعه بحذائه »

قم .. يا كلب

ليلى : « وهي تمسك بحذائه »

حسام .. رفقا
فسعيد متعب
لحظات ، وسنمضي عن بيتك

حسام :

لا . بل يمضي وحده
انت تظلين معي ، نشرب كأسا او نسمع بعض الموسيقى
تتسلق سلمها حتى نصل الى آفاق الامس

« يقترب منها ليرفعها ، فيفيق سعيد ليجده امامه »

سعيد :

ماذا .. انت

حسام :

قم يا طفلي الضائع فامض الى الشارع
أو فاصمت وتناوم
وأدر وجهك للحائط
هيا .. يا ليلى

« سعيد ينهض والتمثال في يـده ، وينهـال به على حسام »

حسام : « عند اول ضربه »

غافلني المجنون

ليلى :

مجنون .. مجنون .. مجنون

« تهرع للشباك لتفتحه »

سعيد : « يسقط الى الارض ، وهو يصيح »

لن تأخذها مني

لن تأخذها مني

(صوت بائع صحف ينادي ، ويصل صوته من الشباك المفتوح)

البلاغ . . المسائية . . القاهرة احترقت . . حريق القاهرة . . الاحكام العرفية . . حريق القاهرة . . حريق القاهرة .

((ستار))

المنظر الثالث

(غرفة التحرير)

الاستاذ ـ زياد ـ حنان ـ سلوى

الاستاذ :

وكما كان الابطال القدماء
ممن حفظت سيرتهم قصص الشعراء الجوالين
وأسمار الفقراء
سنودع قتلانا ، نتهشم فوق شواهدهم حزنا
مكبوحا وانينا
ثم نجمع ما ذاب حنينا من أنفسنا ، ونغني
فالمعركة المحتدمه

لا تمهلنا حتى نمنح اخوانا شرفاء
ما هم أهل له
من دمع وبكاء
والآن ...
لنودع من ضاعوا منا في طرق الوحشه
ولنذكر انا قدمناهم قربانا للريح
كي تجتاز بنا البحر الى مدن المستقبل

زياد :

استاذي الطيب
هل نرحل للمستقبل
في سفن من ورق الصحف الاصفر ؟

الاستاذ :

رفقا يا ولدي !
هذا ما نسلك ان نفعل
لا بد وان نؤمن في شيء

زياد :

لكن يا استاذي الطيب
من أي المدن سنرحل
فلعلك تعلم ••
أن مدينتنا احترقت

الاستاذ :

انت تعذبني يا ولدي المحبوب
ارفق بي •• أرجوك
انا لا ابغي ان اتجادل
بل اني لا ابغي حتى ان اتكلم
ولقد كنت أسائل نفسي قبل مجيئي الآ
ماذا نفعل ؟
ولماذا تتجمع ، تتفرق
تتأمل او نبكي ، نضحك او تتحذلق
نصرخ ، وندخن
نتهلل ونئن
ما دمنا أغفينا ذات مساء

وتركنا حبة أعيننا في كنف الغرباء
ممن زعموها ابنتهم
وصحونا لنراها انتهكت متمددة مستسلمة
في فرشتها الخضراء
انا لا انسى او اغفر
اني لما كـــان القتلة يأتمرون وينقسمون الى اشياع
النار واشياع السكين
كنت اداعب طفلي
قل لي يا ولدي
في اي مكان كنت ؟
في ليل الموت

زياد :

في دار بغاء
ولهذا لن اكتب حرفا بعد الآن

الاستاذ :

لا ... لا يا ولدي

الواجب أن نعلو فوق المأساه
نتجاوزها لكن لا ننساها
يوما سنعيد بناء مدينتنا الحلوه
قاهرة الايام ، الحب الاول ،..

زياد :

لا اعرف يا استاذي كيف أحلق فوق المأساه
والمأساة ردائي ، وشم فوق جبيني ، قيد في قدميَّ

سلوى :

يكفي هذا .. أ زياد
استاذي
انا قادمة لاودعكم

الاستاذ :

هل تتخلي عنا يا سلوى ؟

سلوى :

ذكراكم ستظل بقلبي

الفرسان الحكماء المحزونون .. كما قلت

الاستاذ :

لكن .. لم يا سلوى

سلوى :

اتزوج ... يا استاذ

الاستاذ :

هل تنتظرينه ؟

سلوى :

لا .. يا استاذ
لن اتزوج حسان
بل اتزوج مصلوبا مثلي
كي تفني احزاني في احزانه
عالمنا ، عالمكم ، عالم حسان قد مات
ولهذا فانا اذهب للدير

الاستاذ :

الدير

آخر ما يخطر في بال

سلوى :

اول ما خطر ببالي حين احترس الم
في قريتنا دير ، اذهب كي أطرق بابه

زياد :

انا ايضا احمل اخبارا يا استاذ
قد غيرت طريقي
حدثني احد اصحابي عن روضة اطفال في
بلدتهم تطلب من يتعهدها
وسأجمع امتعتي اليوم ، وارحل في الغد

حنان :

هل تأخذني معك زياد ؟

زياد :

بل اني ارجو

حنان :

انا ايضا مغرمة بالاطفال

زياد :

انا اؤمن بالاطفال

حنان :

أين اقيم

زياد :

هاتي أمتعتك وامضي خلفي

حنان :

اليوم ••• زياد

زياد :

اليوم

الاستاذ :

لم هذا •• يا ابنائي
لا تدعوني وحدي في شيخوختي الصدئه
احمل عبء الكلمه
أيئستم •• ستسير الاحوال إلى شط الخير

سيعود سعيد .. وحسان
وسينضم الينا فرسان جدد ، اصلب منا
عودا ، اكثر منا قدره
وسنكتب .. ونمثل ، ونحب .
وستصبح هذي الايام المره
ذكرى واهنة منطفئه

« يدخل الحاج على عامل المطبعة »

الحاج علي :

عفوا يا استاذ
الشرطة في المطبعة يلمون الاعداد الآن
ويقولون : الرخصة قد سحبت

الاستاذ : « بعد برهة »

زوجك ينتظرك يا سلوى
والاطفال يريدونكما .. يا ولدي
انصرفوا يا ابنائي ، دون وداع
وسأبقى وحدي لحظات كي أجمع أوراقي

ثم أزور سعيدا في السجن •
وأعود الى بيتي
كي أنتظر غدا قد يأتي او لا يأتي
لا •• لا •• دون وداع •• أرجوكم
دون وداع
« يجلس على المكتب ، يجمع اوراقه ، ثم ينادي : »
يا حاج علي
لا تنسى ان تغلق باب المكتب
ان تغلق باب الشقه
ان تغلق باب المبنى
هذا زمن لا يصلح ان نكتب فيه ، او نتأمل ،
أو نتغنى او حتى •• نوجد
يا حاج علي
اغلق كل الابواب
اغلق •• اغلق •• اغلق •

« ستار »

المنظر الرابع

« سعيد في الحبس »

(الاستاذ ـ سعيد)

الاستاذ :

سعيد ، هل أنت بخير ؟
ابشر ،
فالضربة ليست بمميته
ولقد وكلت صديقا من ابرع اهل القانون
وستخرج عن قرب

سعيد :

من أنت
هل أنت السبد ؟

الاستاذ :

من ؟

سعيد :

آه .. انت رسوله
هل ياتي في هذه الايام
هل أشرع سيفه
ام ما زال السيف جنينا في بطن الغمد

الاستاذ :

سعيد
هل تبغي شيئا ؟

سعيد :

أبغي ان ابعث برسالة
للقادم من بعدي
لكني لا اعرف عنوانه
ما دمت رسوله
فأحملها له

هي بضعة اسطر

« يخرج ورقة من جيبه ، ويبدأ في القراءة »

يا سيدنا القادم من بعدي
انا اصغر من ينتظرونك في شوق محموم
لا ممنة لي ، اذ اني الآن نزيل السجن
متهما بالنظر الى المستقبل
لكني اكتب لك
باسم الفلاحين ، وباسم الملاحين
باسم الحدادين ، وباسم الحلاقين
والحمارة ، والبحاره
والعمال وأصحاب الاعمال
والاعيان وكتاب الديوان
والبوابين وصبيان البقالين
وباسم الشعراء وباسم الخفراء
والاهرام ، وباب النصر ، والقناطر الخيرية ،
وعبدالله النديم ، وتوفيق الحكيم والمظ ،
وشجرة الدر ، وكتاب الموتى ، ونشيد بلادي

بلادي
نرجو ان تأتي وبأقصى سرعة
فالصبر تبدد
واليأس تمدد
اما ان تدركنا الان
او لن تدركنا بعد
حاشية : لا تنسى ان تحمل سيفك

(يعطيه الورقة)

الاستاذ :

سعيد
هل ارسل لك دخانا وطعاما

سعيد :

لا .. فتش لي عن لعبه
كنت أراها وأنا طفل
رجل في ثوب مهرج
مخروم ومعلق
في عقلة سلك

تضغط ... يعلو
تضغط .. يهبط
طبعا ، في الاحوال العادية يهبط
لكن لا يسقط ابدا او يخرج
من برواز السلك

الشرطي :

عندك زوار

« تدخل ليلى »

ليلى :

سعيد

سعيد :

هل ما زلت أسيره
في أيدي الشركس والكهنه

ليلى :

.....

سعيد :

ماذا ؟ لسعوك بالنار
لا .. لا اخشى ان تنهاري ، فتقصي قصتنا السريه
لفضول الشركس والغرباء

ليلى :

سعيد

سعيد :

عوقبت بحرق ردائك
حين تركت فؤادك لحما في منقار الغربان

ليلى :

.....

سعيد :

هل كنت تحبينه ؟

ليلى :

.....

سعيد :

هل كنت تحبينه ؟

ليلى :

.....

سعيد :

ملت اليه قليلا
لا تخشي أن أغضب

ليلى :

.....

سعيد :

يوما ما ستحبين سواه
رجلا يعرف ان اسمك ليلى
ويناديك باسمك
انا ... لا ...

انا وقت مفقود بين الوقتين

انا ...

انا انتظر القادم .

((ستار))

526 / 530

فهرست

الناس في بلادي

رحلة في الليل	٧
هجم التتار	١٤
شنق زهران	١٨
أبي	٢٣
الناس في بلادي	٢٩
السلام	٣٣
الحزن	٣٦
عيد الميلاد لسنة ١٩٥٤	٤٠
سوناتا	٤٢
لرحلة	٤٤
الوافد الجديد	٤٦
الاله الصغير	٤٧
الأطلال	٥٠
ذكريات	٥٤
الملك لك	٥٧
لحن .	٦٤
أغنية حب	٦٧
أناشيد غرام	٧٠
رسالة إلى صديقة	٧٨
نام في سلام	٨٣
مرتفع أبداً	٨٨
سأقتلك	٩٢
الشهيد	٩٨
أغنية ولاء	١٠١

أقول لكم

الشيء الحزين ١٠٩
موت فلاح ١١٣
كلمات لا تعرف السعادة ١١٥
الألفاظ ١٢٠
أغنية خضراء ١٢٣
قالت ١٢٩
هل كان حبا ١٣١
العائد ١٣٣
ثلاث صور من غزة ١٣٨
أبو تمام ١٤١
أحبك ١٤٤
الظل والصليب ١٤٨
أقول لكم ١٥٥
١ – من أنا ١٥٧
٢ – الحب ١٦١
٣ – الحرية والموت ١٦٦
٤ – الكلمات ١٧٣
٥ – القديس ١٧٥
٦ – السوق والسوقة ١٧٩
٧ – موت الانسان ١٨١
٨ – أجافيكم لأعرفكم ١٨٣

أحلام الفارس القديم

مفتتح ١٨٩

الكراسة الأولى :

من أناشيد القرار ١٩١
أغنية الشتاء ١٩٣
أغنية القاهرة ١٩٧
أغنية الليل ٢٠٠
أغنية إلى الله ٢٠٤

الكراسة الثانية :
أغنيات تائهة ٢١١
أغنية من فيينا ٢١٣
الصمت والجناح ٢١٧
الحب في هذا الزمان ٢١٩
رسالة إلى سيدة طيبة ٢٢٣
حكاية قديمة ٢٢٦
لوركا ٢٢٨
بودلير ٢٣١

الكراسة الثالثة :
من أغاني الخروج ٢٣٣
الخروج ٢٣٥
أعلى من العيون ٢٣٨
أحلام الفارس القديم ٢٤٢

الكراسة الرابعة :
صحائف من مذكرات مهملة ٢٥١
مذكرات الملك عجيب بن الخصيب ٢٥٣
مذكرات الصوفي بشر الحافي ٢٦١

تأملات في زمن جريح

حكاية المغني الحزين ٢٧٥
ذلك المساء ٢٧٧
استطراد أعتذر عنه ٢٧٩
استطراد آخر قصير قد
يكون نافعاً ٢٨٤
عود إلى ما جرى ذلك المساء ٢٨٥
اعتراف تأخر عن أوانه ٢٩١
كلمة قصيرة ٢٩٢
رسائل من الماضي ٢٩٣
مذكرات رجل مجهول ٢٩٤
انتظار الليل والنهار ٣٠٢
مرثيات : ٣٠٧
١ – مرثية رجل تافه ٣٠٩
٢ – مرثية رجل عظيم ٣١٢
زيارة الموتى ٣١٤
حديث في مقهى ٣١٨

أنثى ٣٢٢
رؤيا ٣٢١
الشمس والمرأة ٣٢٧
يا نجمي .. يا نجمي الأوحد ٣٣٠
طفل ٣٣٥
الحلم والأغنية ٣٣٩

المسرحيات

القسم الثاني من المجد

الأميرة تنتظر ٣٥١
مأساة الحلاج ٤٤٥
مسافر ليل ٦١٣
ليلى والمجنون ٧٠٣